الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

معهد: العلوم الإنسانية

فرع: التاريخ.

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي في العصور الوسطى

العنوان:

التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين

(5هـ - 7هـ/ 11م - 13م)

مذكرة تخرج لنيل شهـــادة الماستر في التاريخ الوسيط

إشراف الأستاذة:

بوتوغماس حفيظة

من إعداد:

- **بسمة سعيد بشكور**
- **ياسمينة زويتن**

السنة الجامعية: 2014/ 2015

إهداء

قال تعالى: <<وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا>>.

إلى منبع الحب والحنان التي غمرتني بحبها ورعتني بعطفها وحنانها، إلى من دعواتها غطتني ومهدت طريقي أين ما حللت فكانت نبراس حياتي، إلى من تطلبها عيني وهي في سوادها ويشتاقها قلبي وهي بين أضلعي، وإلى من تملك الجنة تحت أقدامها ويعجز اللسان عن شكرها، سر وجودي وضياء دربي وبلسم قلبي أمي الحنون حفظها الله ورعاها.

إلى الذي زرع في نفسي بذور الشموع والكبرياء وعلمني كيف أواجه المصاعب عنوان الصمود ورمز الكفاح والتضحية، إلى الذي لولاه لما وصلت إلى ما أنا عليه الآن، إلى من كان لي نورا في ليلة حالكة الظلمة أبي الكريم أطال الله في عمره وجعله لنا ذخرا وضياء.

إلى سندي ومصدر قوتي، إلى ملائكة السعادة التي تحمل ابتسامة الأزهار، إلى الركائز التي أتكئ عليها وحققت حلمي إخوتي وأخواتي.

إلى أختايا ونجوم حياتي وفلذة كبدي وقرة عيني ،إلى من أقتسم قلبي بالتساوي قمر الزمان ورمز الامان أمال. وإلى اللؤلؤة المقشعرة التي لا تنطفأ أبدا نجمة النجوم اسيا أتمنى لها كل. النجاح

إلى شمعة الدار المنيرة:نســـــيم، ألى سندي بعد والدي: أخي عثمان

إلى من شغلنا نصيبا من ذكرياتي من عشت معهم أياما جميلة في حياتي: شهرة، بشرى، فايزة، روزة، نعيمة، إلهام، نجود.

وإلى من خطت معي سطور مذكرتي: بسمة "زينة"

إلى كل من نسيهم قلمي وتذكرهم قلبي أهدي هذا العمل المتواضع

يسمينة

إهداء

إنّه لا يسعني في هذه اللحظات التي لطّلني لا أملك أغلى منها أن أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

إلى من كلله الله بالهبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون إنتظار...إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار...

أرجو من الله أن يمد في عمرك...لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول إنتظار...وستبقى كلماتك نجوم

أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد...**والدي العزيز**.

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني...إلى من ركع العطاء أمام

قدميها...

إلى بسمة الحياة وسر الوجود...إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي...إلى أغلى الحبايب

...

أمي الحبيبة .

إلى من هو مصباح الدجى في هذه الحياة ...دعمه سر من أسرار نجاحي ...الذي كان بمثابة سند لي

وعونا طيلة حياتي الدراسية من تشجيع ودعاء وصبر وعطاء...**إلى زوجي العزيز...جمال**

وإلى كل أفراد عائلته .

إلى من بها أكبر وعليها أعتمد ...إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي...إلى من بوجودها أكتسب

قوة ومحبة لا حدود لها...إلى من عرفت معها معنى الحياة...**أختي الغالية مريم**.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة...إلى رياحين حياتي...**إخوتي خالد ومالك**.

دون أن أنسى زوجة أخي **فازية**

إلى أحن فتيات عرفتهن في حياتي ...اللواتي كنّ ينرنّ صباحي ومسائي ...ويرسمن البسمة على وجهي:

روزة حياة، شهرة، فايزة، بشرى،إلهام، نعيمة، نبيلة.

إلى من قاسمتني تعب وحلاوة هذا العمل صديقتي زويتن ياسمينة

إلى من أسقطهم قلمي...ولم يسقطهم قلبي ...إلى كل من عرفت بسمة وأحبها وتمنى لها النجاح

من قريب ومن بعيد.

بسمة

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

<< وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله و المؤمنون >>.

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات و بعونه تم انجاز هذا العمل.

نسأله التوفيق لأنه أعاننا على انجازه ووفقنا إلى إتمامه فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

بهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في انجاز هذه المذكرة و نخص بالذكر الأستاذة المشرفة **بوتوغماس حفيظة** التي لم تبخل علينا طيلة مدة إنجاز هذا البحث بتوجيهاتها القيمة السديدة، و نصائحها الرشيدة ،و سعة صدرها معنا ، جعل الله علمه هذا في ميزان حسناتها .

إلى الدكتورالفاضل محمد الامين بلغيث

الذي كان بمثابة السند و العون لنا منذ كان الموضوع عنوانا و فكرة إلى أن صار رسالة و بحثا .

كما نتوجه بالشكر أيضا إلى أستاذنا المحترم **صغيري**.

لأعضاء **لجنة المناقشة الموقرة** التي تشرفنا بتوجيهاتها فيما يخص مذكرتنا المتواضع في سبيل الرسالة العلمية .

إلى كل من ساعدنا بصالح دعائه،و دعمنا بكل ما تيسر له من إمكانيات مادية و معنوية لإتمام هذا العمل المتواضع ...

إلى كل أساتذة وجميع طلبة جامعة أكلي محند أولحاج

إلى كل هؤلاء أتقدم بأصدق مشاعر التقدير والامتنان،وجزيل الشكر والعرفان الذي لا ينقصه إلا عجز الكلمات.

مقدمة

مقدمة

لقد كان الغرب الإسلامي من أهم المواقع التي ساهمت في إثراء التاريخ بأحداث مهمة، فقد جمع بين الطبيعة والأدب وجمع بين شساعة أقاليمه وعلو مراتبه، حيث نبغ أعلامه في الفكر والسياسة فكانت كلها عوامل ساعدت القادة العسكريين في تأسيس إمبراطوريات على رأسها الدولة المرابطية التي لعبت دورا هاما وخطيرا في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ المغرب والأندلس بصفة خاصة، فقد تمكنت من رفع راية الإسلام في ربوع السودان الغربي ونشر الثقافة الإسلامية في القبائل البربرية المختلفة، وشاركت في معركة الجهاد بالمغرب والأندلس إلى جانب هذه الأخيرة ظهرت دولة أخرى لا تقل عنها شأنا ألا وهي الدولة الموحدية التي عرف عهدها تطـورا هائلا شمل جـــميع مرافق الحـــياة فازدهرت الحياة الثقافية ومثلت بحق عصـــر الـرقي والازدهار .

ومن هذا المنطلق كانت بيئة الغرب الإسلامي قد ساعدت على توفير مناخ يدعو إلى التأمل والتفكير وتساعد على الانطواء على الذات والابتعاد عن الدنيا، فكان التصوف من أهم المظاهر التي اصتبغت بها الحياة الروحية الإسلامية، حيث يخضع فيها الصوفي نفسه لقواعد و ضوابط سلوكية ومبادئ في الأخلاق ومناهج لتذوق الحياة.

ففي القرنين الأول والثاني للهجري الموافق للسابع والثامن ميلادي، ظهر هذا التصوف على شكل فئة قليلة من المسلمين اقتصرت حياتهم على نمط خاص في مآكلهم وملبسهم إلى جانب إقبالهم على العبادة والإكثار من الأدعية، وقد زاد عددهم خلال القرنين الثالث والرابع هجري الموافق للتاسع والعاشر ميلادي، حيث كانت هذه الفئة محترمة من قبل الخاصة والعامة وكلمتهم مسموعة ويأخذ برأيهم، وتجمع حول هؤلاء الصالحين والأتباع والمريدون يواصلون في عملهم، وهذا بداية من القرن الخامس هجري الموافق للحادي عشر ميلادي خاصة خلال عصري المرابطين والموحدين،لأنهم اتخذوا التصوف منهجا لحياتهم.

وحول كل هذه الأحداث التي كانت في الغرب الإسلامي من قيام الدول مثل المرابطين والموحدين وظهور فئة المتصوفة، ومنه يتمحور موضوع مذكرتنا الذي هو تحت عنوان:

التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين

وبرزت فكرة معالجة هذا الموضوع بهذه الصورة في هذا المجال الجغرافي من خلال بحوثنا السابقة حول الدولتين المرابطية و الموحدية، وبعد مطالعتنا لكتب المتخصصين في هذا المجال بالإضافة إلى تعلقنا الكبير بالتاريخ الوسيط عامة وبالغرب الإسلامي خاصة، إلى جانب مناقشات عديدة مع بعضعنا والأستاذة الذين وجهوا انتباهنا إلى ضرورة البحث حول موضوع التصوف.

ولا يخفى على احد أنَّ موضوعنا هذا قد تطرق إليه العديد من الباحثين باختلاف مستوياتهم فقد وجدناه درس من طرف:

_ دراسة **زينب ملياني** المعنونة « **التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين** » و الحق انه كانت لنا استفادة خاصة منها، فقد بذلت فيها جهدًا معتبرا فيما يتعلق بجمع المادة ودراستها و اتضح لنا هذا من خلال المصادر الهامة المتخصصة التي استخدمتها في معالجة عوامل انتشار التصوف بالغرب الإسلامي و التي أجملتها في عوامل دينية، سياسية، اقتصادية و اجتماعية. إلى جانب الدراسة الموضوعية للاتجاهات الصوفية، ودور المتصوفة في مختلف مظاهر الحياة.

وأبحاث المؤرخ **محمد أمين بلغيث** من جامعة الجزائر الموسومة ب:« **الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين** » والتي عمد من خلالها إلى ذكر أهم المراكز التي ساهمت في توسع التصوف وانتشاره، كما خصص جزءا من أطروحته للدكتوراه التي جاءت

تحت عنوان:« **الحياة الفكرية في عصر المرابطين** » لإعطاء لمحة عن حقيقة التصوف في عصر المرابطين.

إلى جانب **إبراهيم القادري بوتشيش** من جامعة مكناس بالمغرب الأقصى الذي أجرى دراسة مستقلة عن التصوف إبان عصري المرابطين والموحدين قد تناول في احد كتبه الذي يشكل قسما من أطروحة دكتوراه و المعنون ب "**المغرب والأندلس في عصر المرابطين– المجتمع– الذهنيات-الأولياء** " إلى دراسة التصوف بالمغرب والأندلس في عصر المرابطين.

كما نهدف من خلال دراستنا لهذا الموضوع تحقيق ما يلي:

_ التعرف على منطقة الغرب الإسلامي، و تاريخ المرابطين والموحدين فيها.

_ التعرف على فئة المتصوفين ودورهم في المجتمع.

_ المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية بهذا النوع من البحوث الخاصة بتاريخ الجزائر في العصر الوسيط نظرا لافتقارها للمادة العلمية لكون تخصص التاريخ الوسيط فرع جديد بجامعة البويرة.

_ المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة بتاريخ الغرب الإسلامي خلال القرنين (5هـ-7هـ/ 11م-13م.)

_ ونعتقد أننا في أمس الحاجة إلى دراسات جديدة في التعرف على أدوار المتصوفة بالغرب الإسلامي. وكشف وجودهم فيه.

أمّا فيما يخص الفترة الزمنية التي حددت عناصر الموضوع فهي تمتد من: (5 هـ _ 10م) **إلى** (13هـ_16م) باعتبارها من الفترات الحاسمة في تاريخ التصوف ومثلت **العصر الذهبي** له.

_ بروز دور المتصوفة فيها بشكل واضح، وارتقاء مكانتهم في المجتمع، خاصة في الفترة المدروسة.

_ محاولتنا تقديم صورة حقيقة حول المتصوفة والسلطة في هذه الفترة.

وعند تعرضنا بصورة وجيزة إلى تاريخ الغرب الإسلامي، وقيام دول كان لها الفضل في العديد من الفتوحات، بالإضافة إلى بروز فئة المتصوفين، وما أحدثوه من تغييرات وتطورات، أثارت الإشكالية التالية:

- فيما يتمثل تأثير التصوف على الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين؟

وهل كان التصوف سمة من سماته ؟ والى أي مدى طبعت الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فيه بطابع التصوف في عصري المرابطين والموحدين؟

واندرجت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات ثانوية تمثلت فيما يلي:

_ ما هي أهم الطرق التي ساعدت على انتشار التصوف بالغرب الإسلامي؟

_ وهل كان لهذه الطرق اثر على تنوع التيارات الصوفية و فيما يكمن أهم أقطابها بارزين ؟

_ ما هي طبيعة العلاقة التي كانت تجمع المتصوفة بالسلطة والفقهاء؟ وهل كانت علاقة توافق و اتصال؟ أم علاقة تنافر وانفصال؟

_ ما هو الدور الذي لعبه هؤلاء المتصوفة على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي للدولة المرابطية الموحدية.

وللإجابة على هذه الإشكالية قسمنا بحثنا، وفق **الخطة** التي تتمحور على المعلومات المتحصل عليها بخصوص التصوف في عصري المرابطين والموحدين، فكان لذلك أثر في تقسيم البحث إلى مقدمة و أربعة فصول، وخاتمة.

بداية **بالمقدمة** التي وضحنا فيها أهمية الموضوع، أسباب اختياره، طــرحنا فيها الإشكالية وقــدمنا نبذة عن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، و أشرنا لمنهج البحث المتبع، و أخيرا الصعوبات التي واجهتنا.

ولقد خصصنا في **الفصل التمهيدي** الذي هو تحت عنوان "**نبذة تاريخية عن دولة المرابطين و دولة الموحدين**" وبدوره قمنا بتقسيمه إلى مبحثين، فالمبحث الأول يخص دولة المرابطين، ثم يليه المبحث الثاني الدولة الموحدية التي ذكرنا فيها مراحل قيامهما وتوسعاتهم نحو الأندلس وصولا إلى انهيارهما.

ثمّ تطرقنا في **الفصل الأول** الذي عنوناه ب "**التصوف وطرق انتشاره بالغرب الإسلامي**"، الذي يتفرع إلى مبحثين، فعمدنا في المبحث الأول مفهوم التصوف، أي تعريفه من حيث اللغة و الاصطلاح، وفي خضم ذلك تتبعنا حركة الانتقال من الزهد إلى التصوف ببلاد المغرب، ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى أهم طرق انتشاره، و أجملناها في ثلاث نقاط أساسية هي نزهة الزهد و انتشار الرُّبُط الذي شكل مركز بروز التصوف، ثم بينا دور الرحلات الحج والعلم في نقل مصنفات المتصوفة المشارقة والتأثر بهم.

أمّا بخصوص **الفصل الثاني** الذي كان بعنوان: "**التيارات الصوفية وأقطابها بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين**"، الذي بدوره قسمناه إلى ثلاث مباحث ففي المبحث الأول عالجنا فيه التيار الصوفي السني وأقطابه، حيث اتبعت كل فـئة من المتصــوفة مجموعة من الرياضات والمجاهدات من مجاهدات نفسية أو عملية إلى جانب إتباع أساليب عديدة في تصوفهم من تشدد و ترغيب أو وعظ الناس إضافة إلى من كان يعتمد أسلوب الانقطاع عن الناس، أمّا المبحث الثاني فتناولنا فيه التيار الصوفي السني الفلسفي الذي برز فيها الغزاليون وهم المتصوفة الذين تأثروا بأفكار أبي حامد الغزالي وعملوا على نشرها في الغرب الإسلامي إلى جانب المتصوفة المتأثرين بالغزالي الذين استطاعوا أن يكونوا أفكار صوفية خاصة بهم حافظوا بها على تصوف الغزالي منهم أبو مدين شعيب وأتباعه وأبو الحسن الشاذلي وأتباعه وأبي العباس السبتي وأتباعه...إلخ، وبعد ذلك خصصنا المبحث الثالث التيار الصوفي الفلسفي، فقد بلغ أصحاب هذا التيار استخدام الفلسفة حتى طغت على تصوفهم وبات تصوفا فلسفيا، حيث اعتمد

أصحاب هذا التيار على نظرية الإشراق الفلسفية التي قامت على أساس إشراق الأنوار الإلهية على المريد.

وتعرضنا في **الفصل الثالث** لعلاقة المتصوفة بالسلطة والفقهاء، وكذا دورهم في الحياة الاجتماعية والثقافية، فطرحناه تحت عنوان "**مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية عند المتصوفة**"، فتناولنا خصائص ومميزات فئة الصوفية عن باقي الفئات الاجتماعية الأخرى من حيث تقشفها في الزاد واللباس والمسكن، وزهدها في الحياة الدنيا، ثم أوضحنا موقفهم من بعض قضايا المجتمع من خلال كراماتهم التي عكست ذلك، وبعدها أبرزنا دورها الاجتماعي والسياسي، فعرضنا علاقتهم بالسلطتين المرابطية الموحدية، التي تميزت بالاحتواء والمسالمة أحيانا و التوتر والتنافر أحيانا أخرى، حتى وصلنا إلى حد الثورة وهذا ما استعرضناه في إطار ثورة المريدين وثورة ابن هود الماسي. ثم بينا العلاقة التي ربطت المتصوفة بالفقهاء خلال العصرين .

و جاءت **الخاتمة** لعرض أهم ما استخلصه من هذا البحث كإجابة على ما ورد في الإشكالية.

كما أثرينا بحثنا هذا **بملحقين**، يوضح الملحق رسالة المهدي إلى جماعة الموحدين ينهاهم فيها عن الخمر، أما الملحق الثاني فهو عبارة عن رسالة عبد المؤمن بن علي إلى جماعة الموحدين بإشبيلية، ينهاهم فيها عن الخمر.

نبذة عن المصادر و المراجع:

1_المصادر:

_ ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد(712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، الطبعة الثالثة، الجزء الرابع، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبـنان، 1983م: حيث استفدنا من جزئه الأول و المتضمن المرحلة الممتدة من الفتح إلى أوائل القرن السادس هجري /الثاني عشر ميلادي، و استفاد البحث منه في تغطية الجانب التاريخي، و

كذلك في إبراز العوامل الدينية و السياسية و الاقتصادية التي أدت إلى نشأة التصوف و إبراز اتجاهاته و تياراته المختلفة.

كما استعنّا بكتاب: **لإبن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (587هـ/1183م): - الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، طبعة الأولى، تحقيق إبراهيم الأبياري، ثلاثة أجزاء، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني ،بيروت، 1410هـ/1989م:** و استعرض فيه حقيقة التبادل الثقافي بين الأندلس و المغرب وهذا في القرنين الرابع و الخامس الهجريين/ العاشر و الحادي عشر الميلاديين، حيث يتعرض في حديثه إلى نشاط رجال الصوفية و تنقلاتهم بين المغرب و الأندلس.

بالإضافة لكتاب: **إبن الزيات التادلي (617هـ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف، نشر وتصحيح أدولفو، مطبوعات افريقية الشمالية الفنية، الرباط،1958.**حيث ترجم في هذا الكتاب على ما يزيد عن 279 صوفيا ، كشف لنا من خلالهم واقع الحركة الصوفية في المغرب الإسلامي في الفترة الممتدة بين الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي و الثالث عشر ميلادي، و كانت استفادتنا منه في الناحية الاجتماعية للمتصوفة(حياتهم اليومية).

2_ المراجع:

_ بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين/12 و 13 ملاديين (نشأته، تياراته دوره الاجتماعي و الثقافي و الفكري و السياسي)، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة. الذي اعتمدنا عليه في نشأة التصوف و طرق انتشاره.

_ التفتازاني أبو الوفا الغنيمي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1399هـ/1990م. هذا الأخير أفدنا في دراسة التيارات الصوفية. لقد كانت هذه أهم المصادر التي استفدنا منها في انجاز دراستنا، وارتأينا أن نركز على أهمها لأن القائمة طويلة ولا يمكن إدراجها بكاملها هنا.

فطبيعة دراستنا هذه تطلبت منّا إتباع المنهج التاريخي و التحليلي وحاولنا من خلالهما تتبع الأحداث و تحليل المعلومات لإزالة الالتباس والغموض عليها ومقارنتها بالمصادر والمراجع الخاصـــــــة بالموضوع من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية، بالإضافة إلى المنهج الوصفي.

و الحقيقة أن خوض غمار هذا البحث و الإبحار فيه قد اكتنفته صعوبات كثيرة و عقبات جمة، طيلة فترة جمع المادة من المكتبات بالجزائر و قسنطينة و مسيلة و إلى لفت الانتباه إلى الصعوبات التي واجهتنا أثناء عملية الجمع نجمل أهمها فيما يلي:

أولى هذه **الصعوبات** تمثلت في شساعة الامتداد الزمني لحيز الدراسة، كما أن غموض المصطلحات الصوفية منعنا من الاستفادة من بعض المصادر التي تتعلق بالتصوف التي ستمد لنا بعون كبير.

عدم اطلاعنا على أهم المصادر الصوفية المطبوعة منها و المخطوطة لعدم توفرها، كما كان لعدم إتقاننا اللغة الاسبانية دور كبير في حرماننا من الاطلاع على ما كتبه المستشرقون الإسبان في هذا المجال سواء كتب أو المقالات . كما أننا وجدنا العناء في الحصول على مراجع باللغة الأجنبية تتناول موضوع دراستنا.

و هذا ما جعلها ناقصة من هذا المجال، لكن لضيق الوقت جعلنا نقتنع بما هو متوفر، مع ذلك تبقى هذه الدراسة كأي عمل بشري موسوم بالخطأ و النقصان.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد أعطينا ولو فكرة بسيطة عن الموضوع قيد الدراسة وأن نكون قد فتحنا أبواب البحث المتواصل في هذا الموضوع الهام، الذي نراه الحلقة المفقودة في دراسة وتحليل الأحداث التاريخية للمنطقة.

الفصل الأول: التصوف وطرق انتشاره.

المبحث الأول: التصوف الإسلامي.

- تعريف التصوف.
- التصوف وحركة الزهد في بلاد المغرب.

المبحث الثاني: طرق انتشار التصوف.

- نزعة الزهد.
- إنتشار الربط.
- دور الرحلة في طلب العلم.

الفصل التمهيدي: نبذة تاريخية عن دولتي المرابطين والموحدين.

المبحث الأول: دولة المرابطين.

- بداية الدعوة المرابطية وقيام الدولة.
- مرحلة التوسع وضم بلاد الأندلس.
- مرحلة التراجع والانهيار.

المبحث الثاني: دولة الموحدين.

- بداية الدعوة المرابطية وقيام الدولة.
- مرحلة التوسع وضم بلاد الأندلس.
- مرحلة التراجع والانهيار.

المبحث الأول: **الدولة المرابطية.**

أ-بداية الدعوة المرابطية وقيام الدولة:

قبل البدء في موضوع الدعوة المرابطية ارتأينا أن نتعرف على أصحاب هذه الدعوة وحقيقة تسميتهم، فلقد أجمع أغلب المؤرخين على أنّ أصلهم عربي من حمير[1]، وأنّ مجموعة من هذه القبائل خرجت من اليمن في تاريخ غير مضبوط واتجهت نحو إفريقيا منتشرة من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن جبال درن شمالاً إلى تخوم السودان جنوبا[2] في حين ذكر أحد المؤرخين على أنهم رحلوا من مصر إلى بلاد المغرب مع الفاتح موسى بن النصير، ووصلوا إلى طنجة رفقة طارق بن زياد فوقع اختيارهم على الصحراء كموطن لهم[3] غير أنّ هناك منْ اعتبرهم بربرا[4]، و تسميتهم بالمرابطين ترجع حسب بعضهم إلى الإنتصار الذي كان *حليف* لمتونة[5].

---

[1]- ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، ط3، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتاب العلمية، بيروت، مجلد8، 1418ه/1989م، ص 328-327.- للمزيد انظر: مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، بيروت،1979، ص 19.- انظر كذلك: احمد خالد النصر السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة و الاتصال، دار البيضاء، ج2، 2001م، ص 159.

[2]- حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، مج3، 1992، ص 10.

[3]- زين الدين بن عمر بن مظفر بن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417ه/1996م، ص 8.

[4] - إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين(المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، ط1، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، أبريل، 1993م، ص 8.

[5]- لمتونة: من بطون صنهاجة و أهلها رحال في الصحراء.- انظر : أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، المطبعة الحكومية، الدزائر، 1857م، ص 164.

بإحدى معاركها حيث أبدى فيها المرابطون صبراً شديدا وردّها بعضهم إلى انتصارهم على قبيلة برغواطة[1] سنة 450هـ/1058م.

كما أطلق على القبائل الصنهاجية اسم الملثمين، وأصبح اللثام شعارًا عرفوا به حتى سموا بالمرابطين أما عن سب تلثمهم فقد وردت روايات عديدة[2].

اعتنق الملثمون الإسلام بعد فتح الأندلس[3] وكان دينهم قبل ذلك المجوسية [4] وكانت رئاستهم في تلك المرحلة في قبيلة لمتونة[5] والتي اتخذت النظام الملكي وكان ملكهم أيام عبد الرحمن الداخل الأموي ثيولوثان بن تيكلان اللمتوني[6]. وقد حارب هذا الملك القبائل الوثنية ونشر بينهما الإسلام، وبعد وفاته عام 222هـ/837م خلفه حفيده الذي دام حكمه حتى وفاته عام 287هـ/899م حيث

---

[1]- برغواطة: هي عبارة عن مجموعة من القبائل المغربية اتبعت طريق أبو صبيح الذي تنبأ و سن لهم شرائع غريبة وتولى بعده أباه صالح الذي شرع لهم الديانة التي اتبعوها بعده و تم القضاء عليها في عصر المرابطين.-انظر: ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1391هـ/1971م، ص 207.

[2]- أبو العباس شمس الدين احمد بن أبي بكر بن خلكان، وفايات الأعيان و أنباء الزمان، ب ط، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، ص 129.

[3]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 327.- للمزيد انظر: احمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق احمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة و الاتصال، دار البيضاء، 2001، ص 159.

[4]- مجهول، المصدر السابق، ص 17.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 181.

[6]- محمد بن أبي القاسم الرغيني، المؤنس في أخبار افريقية و تونس، ط3، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، شعبان، 1387هـ، ص 102-103.

خلفه ابنه تميم الذي قتل عام 306هـ/920م على يد مشايخ صنهاجة[1]، فلم يجتمعوا على أحد بعده، أين اختلفت كلمتهم وتفرقت أهوائهم مدة من 120سنة، إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت، المعروف بتارشتا اللمتوني[2]، وجاء بعده يحيي بن إبراهيم الجدالي سنة 427هـ، وبعد رحيله إلى الحج استخلف ابنه في مكانه، و عندما قضى حجه وزيارته همّ بالرجوع إلى بلاده فمر بالقيروان، أين التقى الشيخ الفقيه أبا عمران الفارسي[3]، فرآه هذا الأخير محبا في الخير فأعجب به، وسأله عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئًا، لافتقارهم إلى منْ يقرؤهم القرآن ويدرس لهم العلم الشرعي، إلاّ أنه حريص على التعلم، صحيح العقيدة والنية[4]، فطلب يحي بن إبراهيم من الشيخ أن يبعث معه بعض طلبته ليقرؤهم القرآن ويفقههم في الدين لكن تلامذة الشيخ استعصوا دخول أرض الصحراء، فأرشده بعدها إلى فقيه ببلد نفيس[5] من أرض المصامدة واسمه وجاج بن زلو اللمطي بعد أن كتب له، فسار يحي بن إبراهيم به حتى وصل إلى الفقيه، فسلم عليه

[1]- صنهاجة: تنسب هذه القبيلة إلى قبيلة حمير اليمنية، تعرف بالترحال و هي من أهم القبائل البربرية و يندرج تحتها حوالي 70 قبيلة منهم مسوفة، لمطة، لمتونة، جزولة... و غيرها.-انظر: أبي العباس بن علي القشقشندي، صبح الأعشى، ب.ط، ج1، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، المؤسسة المصرية، مصر، ص 363.

[2]- سعدون بن عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس"عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين"، ط1، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ص13.

[3]- أبا عمران الفارسي: من بني غفجون ولد في مدينة فاس نسب إليها ثم رحل إلى القيروان و درس على يد أبي الحسن القابسي، و قصد بغداد حيث حضر مجلس الفقيه أبي بكر بن الطيب، ثم رجع إلى القيروان و بقي فيها إلى أن وفته المنية عام 470هـ/1038م.-انظر: المرجع السابق، ص 20.

[4] - الرغيني، المصدر السابق، ص 104-105.

[5] - نفيس: من المدن القديمة ببلاد المغرب تقع بالقرب من أغمات.-انظر: الحميري، روض المعطار في خبر الاقطار، الطبعة الثانية، تحقيق احسان عباس، مكتبة بيروت، لبنان، 1984، ص 578.

ودفع إليه الكتاب في رجب 430هـ[1]، فانتدب الشيخ وجاج رجلاً فاضلاً من تلاميذه يدعى عبد الله ابن ياسين الجزولي[2] الذي خرج مع يحي باتجاه جدالة التي انقادت له في البداية ثم خرجت عن طاعته لتشددّه في النهي عن المنكر[3].

وأضحى يشكل خطرًا حقيقيا على الأمراء والأشراف، فثقلت عليهم وطأته، فكان لابّد من إخراجه من بينهم حفاظًا على امتيازاتهم، وانتهت التجربة الإصلاحية بمؤامرة كادت أن تؤدي بحياته، بعد مؤامرة مدعومة من الأمراء والأعيان تزعمها فقيه محلي ويدعى الجوهر بن سكنى يؤازره اثنان من الأعيان هما أيار وابتنكوا فعزلوه وهدموا داره[4]، وهكذا غادر بن ياسين ديار الملثمين مع الأمير يحي ابن إبراهيم الجدالي إلى حوض نهر السنغال للمرابطة في الجزيرة التي اختارها الأمير يحيى، وهناك أسس فيها رباطًا[5] للعبادة ولمعالجة الأوضاع الناجمة عن مؤامرة أعيان الملثمين[6]. اجتمع حوله في هذا الرباط حوالي ثلاثة آلاف مرابطا[7].

---

[1]- عبد الله محمد بن عبد الحليم ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، ب. ط، طبعة حجرية، ص 75-76.

[2] - هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجازولي ولد في قرية تمامونت في طرف صحراء غانة درس على يد وجاج بن زلو ثم رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف و حصل علما كثيرا، دخل المغرب الأقصى مع الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي عام 430هـ/1038م إلى ديار جدالة، -انظر: البكري، المصدر السابق، ص 165.

[3] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 77.

[4]- لسان الدين ابن خطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1،ج4، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397هـ/1977م، ص 348.

[5] -أقام ابن ياسين رباطه في الحوض الأدنى لنهر السنغال، و بقي إلى اليوم أسطورة شعبية يرددها السنغاليون و يتغنون بها ، و لا تذكر كتب التاريخ رباطا غيره في بلادهم. - انظر: نصر الله، المرجع السابق، ص 24.

[6] - نفسه، ص 23.

[7] - بوتشيش، المرجع السابق، ص 10.

بعد أن كثر أنصار ابن ياسين واستكمل قوته أمرهم بالخروج لتحقيق أهدافه وتوحيد قبيلة صنهاجة، فدانت له جدالة 434هـ/1042م، لمتونة ومسوفة، الأمر الذي دفع بباقي القبائل إلى إعلان انضمامهم لدعوة عبد الله والعمل على طاعته. وهكذا وحدّ الإمام ابن ياسين فروع قبيلة صنهاجة، واستكملت القوة الجديدة عصبيتها القبلية التي تقف إلى جانبها وتساندها[1].

ب- مرحلة التوسع وضم بلاد الأندلس:

في عام 440هـ/1048م توفي الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي، فاختاره الإمام بن ياسين، بعد مشاورة المرابطين الأمير يحي بن عمر اللمتوني 440-448هـ/1048-1056م، وقد أدى الاختيار إلى تمرد قبيلة جدالة لخروج الإمارة منها فجهز ابن ياسين جيشا ضّد المتمردين وردهم إلى الطاعة[2].

كان الأمير يحي بن عمر مطيعًا إطاعة عمياء لإمامه[3] فقد أقام عليه ابن ياسين الحد فتقبل ذلك بكل سرور، وقد استشهد الأمير يحي بن عمر عام 447هـ/1056م في قتال ضّد قبيلة برغواطة، وبعد قتله جعل ابن عمه يوسف بن تاشفين[4] في مقدمة الجيش وزحف إلى السوس أين

---

[1] - ابن أبي زرع، الصدر السابق، ص 77.

[2] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 78-79.

[3] - نفسه، ص 79-80.

[4] - يوسف بن تاشفين: هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورفيت بن ارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن وادلمي بن تالميت الحميري من قبيلة لمتونة الصنهاجية، ولد سنة (ت400هـ/1009م) و توفي سنة (500هـ/1109م).- للمزيد انظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج4، ط3، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 46.

تمكن من إخضاع تارودانت[1] وجبل درن[2] وجزولة وماسة[3]، كما استولى على أغمات[4] التي حاصرها سنة 449هـ/1057م وجعلها عاصمة لهم[5]، وتولى بعده أبو بكر بن عمر القيادتين الروحية والعسكرية للمرابطين[6] وخلال سنة 452هـ/1060م استولى المرابطين على لوائه، ثم قرر أبو بكر الرحيل إلى الصحراء لفك الخلاف الذي نشب بين لمتونة ومسوفة وترك يوسف بن تاشفين على المغرب هذا الأخير الذي تزوج بزوجته زينب النفزاوية[7]، كما ترك له أبو بكر ثلث الجيش، وتمكن يوسف بن تاشفين من إحكام سيطرته على السلطة بمساعدة زوجته زينب[8]، وبعودة أبي بكر بن عمر من الصحراء وجد ابن عمه يوسف قد سيطر على أمور السلطة المرابطية، فما كان منه إلاّ أن تخلى له عن القيادة ورجع إلى الصحراء، فعمل يوسف بن تاشفين على اختيار موقع مراكش لتأسيس عاصمة الدولة المرابطية الجديدة[9]، ثم واصل توسعاته ببلاد المغرب حيث دخل فاس صلحًا سنة 455هـ/1063م، وبلاد ورغة وبلاد غمارة سنة 460هـ/1067م وفي تلك الأثناء

---

[1]- تارودانت: تقع بالسوس و أهلها يتبعون المذهب المالكي. – للمزيد انظر: أبو عبيد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل الغربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1983م، ص 131.

[2]- جبل درن: يقع بالمغرب وهو جبل عظيم يعترض الصحراء.- انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 243.

[3]- ماسة: نهر ببلاد السوس الأقصى بالمغرب به رباط الصالحين يبعد عن نول لمطة بثلاث مراحل.– للمزيد انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 522.

[4] - أغمات: تقع قرب وادي درعه و هي مدينتان إحداهما تعرف باغمات و ريكة و الأخرى باغمات مليانة حيث تبعدان عن بعضهما بثمانية أميال و يسكنها البربر.- للمزيد انظر: نفسه ، ص 46.

[5] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 80.

[6] - احمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب و الأندلس، ب.ط، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ص 294.

[7] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 184.

[8] - بوتشيش، المرجع السابق، ص 12.

[9]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 184.

تم استرداد فاس من المرابطين ممّا اضطر يوسف بن تاشفين إلى ترك جيش يحاصر قلعة فازار التي تم دخولها سنة 465هـ/1076م، وعمل على إخضاع عدة مناطق أخرى، وبإخضاعها توجهت أنظارهم ناحية الشرق لانشغال الحماديين بمقاومة العرب الهلالية[1]، فوجه يوسف بن تاشفين سنة 472هـ/1079م حملة إلى المغرب الأوسط حيث تم دخول مدينة تلمسان، ومدينة مليلة[2]، جبال الريف[3] وهران وجبال الونشريس إلى الجزائر الحالية[4]، واستسلمت القبائل الأخرى دون قتال.

في الوقت الذي نجح فيه يوسف بن تاشفين في تأسيس دولة كبيرة في المغرب الأقصى[5] ، كانت الأحداث تتطور تطورًا سريعًا في الأندلس فقد كانت وحدة الأندلس قد تمزقت إلى دويلات صغيرة صقلبية وعربية وبربرية[6] وتبع ذلك انهيار قوة الإسلام العسكرية تبعًا لهذا التمزق السياسي، الأمر الذي يسر على نصارى و على الأخص قشتالة مهمة التهام هذه الدويلات وإخضاعها الواحدة تلوى الأخرى في نفس الوقت الذي استغرق ملوك الطوائف على اللهو والترف

---

[1]- حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط2، دار الكتاب الحديث، جامعة القاهرة، 1416هـ/1996م، ص178.

[2]- مليلة: تقع غرب نهر ملوية لها سور حصين.- للمزيد انظر:الإدريسي، المصدر السابق، ص 253.

[3]- بلاد الريف: مجموعة من الجبال محاذية للبحر الأبيض المتوسط، من مضيق جبل طارق إلى ملوية، و تمتد في الجنوب إلى ورغة.- للمزيد انظر: عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر الحضارة العربية، 1957م، ص4.

[4]- بوتشيش، المرجع السابق، ص 13.

[5]- محمود، المرجع السابق، ص 234.

[6]- ومن هذه الدويلات

: دولة بني هود في سرقسطة و دولة بلنسية، و اعمال طليطلة، و دولة طليطلة، و قرطبة و اشبيلية و مالقة و غرناطة و المرية و دانية، ...وغيرها.– للمزيد انظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في ذكر أخبار افريقية و المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ذو الحجة 1369هـ/1950م، ص 70.

يدرون ملوك النصرانية عنهم بالجزيات ويوادعونهم بالأتوات إلى أن تنبهوا بسقوط طليطلة[1] في عام 487هـ/1085م في يد ألفونسو السادس بن فرديناند ملك قشتالة[2] فقد جاء سقوطها نذيرًا بما يترصد الإسلام في الأندلس من خطر، وقد كان من الضروري في تلك الظروف العصيبة أن تتحد القوى الإسلامية في الأندلس لمواجهة هذا الخطر المسيحي، ولكن ما حدث كان نقيض ذلك فقد بادر ملوك الطوائف إلى استرضاء ألفونسو السادس، ورضوا على أنفسهم دفع الجزية له وإرسال الهدايا المختلفة تقربًا إليه. و في ظل هذه الظروف وزيادة أطماع النصارى في التوسع على حساب أراضي ملوك الطوائف رأى فقهاء الأندلس أن يستنجدوا بالعرب الهلالية لكنهم آثروا الاستنجاد بالمرابطين خوفا من أن يخرب الهلاليين بلادهم، ثم بعث المعتمد بن عبّاد رسله إلى يوسف بن تاشفين طالبًا منه المساعدة، بيد أن عدم دخول المرابطين إلى سبتة وقف عائقا أمام تلبية نداء المعتمد فما كان على هذا الأخير إلا أن عرض مساعدته لحصارها فدخلها المرابطون سنة 477هـ/1084م، و تم احتشاد الجيش المرابطي بالجزيرة الخضراء ليتوجه إلى اشبيلية حيث انضمت إليه القوات الأندلسية منها جيش المعتمد و جيش المتوكل بن الأفطس و ابن صمادح، و كان ألفونسو السادس في هذا الوقت يحاصر سرقسطة، و عند وصول خبر احتشاد الجيش المرابطي إليه رفع حصاره عنها[3]، وبعث بكتبه إلى جميع النصارى ليستنفرهم ضد

[1]- طليطلة: تتوسط قرطبة و بلنسية و المرية و تعرف بحصانتها.- للمزيد انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 393.

[2]- قشتالة: عمل من أعمال الأندلس قاعدته قشتالة لذا سمي بها.- للمزيد انظر: نفسه، ص 483.

[3]- محمود، المرجع السابق ، ص 235

المرابطين، و التقى الطرفان في موقعة حاسمة وهي معركة الزلاقة[1] في رجب 479هـ/ 1086م. كان النصر فيها للمسلمين استمر الجهاد في الأندلس وبهذا أصبحت الأندلس تحت سلطة المرابطين.

ج- مرحلة التراجع و الانهيار:

توفي يوسف بن تاشفين عام 500هـ/1106م عن عمر مائة عام تقريبا، وخلف وراءه إمبراطورية واسعة تمتد من مدينة الجزائر شرقا إلى طليطلة شمال الأندلس غربا والى أعماق الصحراء جنوبا ورغم أن ابنه عليا حاول أن يدير هذه الإمبراطورية وينظم شؤونها[2]، ولكن من جاؤوا لم يكونوا في المستوى المطلوب، ولذلك تمكن الموحدون بسرعة من تصفية هذه الدولة ليحلوا هم محملها.

[1] - موقعة الزلاقة : فهي تقع غرب الأندلس بإقليم بطليوس.- للمزيد أنظر الحميري المصدر السابق، ص 288 -289.

[2] - عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) (89-685هـ/708-1287م)، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، كانون الثاني1984م، ص 269-272.

المبحث الثاني: الدولة الموحدية.

أ-بداية الدعوة الموحدية وقيام الدولة:

تنسب دولة الموحدين إلى واضع أسسها محمد بن عبد الله تومرت[1] الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لها[2]، وقد تلقى علومه بالحواضر المغربية كسبتة ومراكش[3]، اراد بعدها التشبع بالمزيد من العلوم وخاصة العلوم الشرعية منها فقصد المشرق الإسلامي ليحصل من منابع العلم، ومصادر المعارف ومهد الحضارات ما يفيده في تحقيق أهدافه التي يرنو إليها[4].

بدأت رحلته في عام 500هـ، فحج وشرع في طلب العلم، ودامت رحلته خمسة عشر عامًا كان لها الأثر المباشر في تشكيل شخصيته والتأثير في آرائه وأفكاره[5].

ومكث في العواصم الإسلامية من أجل التعلم و تتلمذ على يد العلماء في كل من بغداد

---

[1]-هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهو بهذا ادّعى النسب الشريف، و ينتسب إلى قبيلة هرغة المصمودية القاطنة بجبل السوس في أقصى بلاد المغرب.- للمزيد انظر: أبو علي الحسين بن القطان، نظم الجمّان، ب.ط، تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، ، ص 34.

[2]- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ/1991م، ص 35-36.

[3] - علي عبد الله علام، دعوة الموحدين بالمغرب، ط1، دار المعرفة، الرباط، المغرب، ص 123.

[4] - علي محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي(الدولة الموحدية)، دار البيارق للنشر، عمان، ص 10.

[5]- ابن عذارى ، المصدر السابق، ج6، ص 435.

والإسكندرية التي أخذ فيها عن الفقيه أبي بكر الطرطوشي[1] وحضر مجلسه، ولم يمكث طويلاً في مصر حيث فضل الذهاب إلى الحجاز لحج بيت الحرام وأداء الفريضة، ثم إلى العراق وهناك توسع في علم الكلام وعقائد الاعتزال والأشاعرة وأخذ من كل ما يخدم فكرته طرفًا فقال إبن خلدون: « **ودخل العراق، ولقي جلة العلماء يومئذ،وفحول النظار، وأفاد علمًا واسعًا**»[2]، كما أخذ عن جماعة من العلماء الكبار بالمشرق كالإمام أبي حامد الغزالي الذي ثارت مسألة لقائه به شكوكا، فالمصادر الموالية للموحدين أكدت هذا اللقاء وشاطرها رأي المؤرخين الذين نقلوا عنها [3] في حين شكك آخرون في صحة ذلك ونفاه بعضهم[4]، ورغم ذلك فإنّ المهدي عاد إلى بلاد المغرب متشبعًا بأفكار الغزالي وببعض الأفكار الشيعية[5] وطرد من الإسكندرية والمهدية وبجاية لتذمر الناس من دعوته القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بدأ يستخدم العنف والقوة في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف[6] خرج منها إلى ملالة وبنى بها مسجدًا حيث قصده

---

[1]- الطرطوشي: هو محمد بن الوليد بن محمد بن الخلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي، و يكنى أبا بكر و يعرف بابن أبي رندقة، اشتهر بالورع و الزهد و التواضع و كان إماما عالما و هو صاحب كتاب سراج الملوك، توفي بالإسكندرية سنة 520هـ/1126م.- انظر: ابن بشكوال، الصلة، ج3، ط1، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1410هـ/1989م، ص 838.- للمزيد من المعلومات انظر أيضا: احمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط1، ج2، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1997م، ص 85.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 226.

[3]- بن القطان، المصدر السابق، ص 17-18.

[4]- المراكشي، المصدر السابق، ص 178.

[5]- Charele Andrée julien, Histoire de L'Afrique du Nord des Origines a 1830, édition Spaynot a rivages , Paris 1994, p441

[6]- أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ط2، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ص 32-33.

طلبته فيه لحضور مجلسه[1] وهناك التقى عبد المؤمن بن علي الذي كان متوجهًا إلى المغرب برفقة أحد المشارقة رفقة عمه لطلب العلم،[2] فدعاه ابن تومرت لمشاركته في دعوته إلى المغرب برفقة أحد أتباع المهدي، وعند وصولهم إلى تلمسان نزلوا بمسجد العبّاد أين تمكن المهدي من استمالة أهلها، بعدها توجه إلى فاس فطرده واليها[3]،عمل عبد الله تومرت بتلك الحواضر التي نزل بها على التحريض ضّد المرابطين ودعا إلى قتالهم ومحاربتهم، كما اهتم في هذه المرحلة بالتمهيد لمهدويته بالاستعانة بالأحاديث النبوية التي تخدمه، ولما تمكن له عدد من الأتباع أعلن مهدويته تمت مبايعته بالمهدوية سنة 518هـ/1124م، واتخذ من تينمل مقامًا له ولأتباعه[4] وانتقل بدعوته إلى مرحلة العنف والقوة والصراع، وعمل على تسميتهم بالمجشمة وراح يفرد لهم بابًا في كتابه :"**أعز ما يطلب**"[5]، وسمى أتباعه بالموحدين لكون مذهب التوحيد كان أساسًا لعقيدتهم[6] وبداية هجومه العسكري على المرابطين كانت بتوجيهه لحملة عسكرية بقيادة عبد المؤمن بن علي إلى مراكش حيث التقى الجيشان في معركة البحيرة سنة524هـ/1130م التي انهزم فيها الموحدون

[1] - صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص 9-10.

[2] - البيدق، المصدر السابق، ص 36.

[3] - ابن عذارى، البيان الموحدي...، ص 181-183.

[4] - محمد احمد أبو الفضل، فرق الأندلس في العصر الإسلامي(515هـ، 686هـ) دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص 53.

[5] - المهدي بن تومرت، اعز ما يطلب، مطبعة بربر نطانا، الجزائر، 1321هـ/1951م، ص 258-263.

[6] - الصلابي، المرجع السابق، ص 85.

وتوفي المهدي في السنة نفسها، لتنتهي هذه المرحلة من الدعوة الموحدية وتم كتمان وفاته وبويع عبد المؤمن بن علي سرًا وأعلن على مبايعته بعد الإعلان عن وفاة المهدي[1]

ب- مرحلة التوسع وضم بلاد الأندلس:

بايع أتباع المهدي ملازمه وقائده عبد المؤمن بن علي (524-541هـ) فلقب بالخليفة أمير المؤمنين، وواصل الصراع مستفيدًا من تفاقم مصاعب الدولة المرابطية، فاستولى على وهران وفاس ثم مراكش سنة 541هـ/1147م[2]، وبدخولهم أغمات وطنجة وسقوط مراكش انتهى مُلك المرابطين، وفي سنة 546هـ/1151م بدأ في التوسع شرقا باتجاه إمارة بني حماد، وكان أمرها في تراجع و النورمنديين يطرقون سواحلها، وفي سنة 554هـ/1159م توجه الجيش الموحدي إلى المهدية[3].

وفي سنة 555هـ/1160م حاصر عبد المؤمن بن علي المهدية حتى استسلم من كان بها من النورمنديين صلحًا وبذلك وحد عبد المؤمن بن علي بلاد المغرب وأصبحت العاصمة مراكش من عواصم العالم الإسلامي[4].

---

[1] - السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير(العصر الإسلامي دراسة تاريخية و عمرانية أثرية)، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 780.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، ص 130-168.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب و الأندلس، نشر مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص 238.

[4]- عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب(العصر القديم و العصر الوسيط)، مكتبة السلام، الدار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط، ص 115.

تشتت قوات الجيش المرابطي واضطربت أحواله بالمغرب في مواجهة الدعوة الموحدية بعد ضعف سلطته على بلاد الأندلس، هذه الأخيرة التي تطلع أعيانها وولاتها إلى الاستقلال بولاياتهم وعمد كل واحد منهم إلى إحكام سيطرته على ولايته، ودخلت بذلك بلاد الأندلس في عصر ثاني لملوك الطوائف فسيطر عبد الرحمن بن عياض على بلنسية ومرسية وشرق الأندلس، وخلفه محمد بن سعد بن مردينش، وتولى المرية عبد الله بن محمد بن الرميمي، أما جيان فقد أشرف عليها عبد الله بن همشك، وبقي غرب الأندلس تحت سيطرة المتصوف بن قسي[1]، كما أثار أبو القاسم بن حمدين بقرطبة وانفرد بنو غانية[2] بالجزائر الشرقية[3]، ولم يبقى تحت سلطة المرابطين إلاّ غرناطة وإشبيلية[4]، هذا فضلاً عن التحرشات النصرانية التي استهدفت عدة مناطق وتمكنوا من السيطرة عليها كسرقسطة[5].

وتحت ضغط هذه العوامل أصبح أعيان بلاد الأندلس يتطلعون إلى تدخل الموحدين لمساعدتهم، وجاء الوفد الإشبيلي إلى المغرب لمبايعة عبد المؤمن[6]، وفي سنة 543هـ/1148م

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص 201

[2]- نفسه، ص 209-2011.

[3]- بنو غانية: نسبة إلى محمد بن غانية الذي كان واليا على بعض أعمال قرطبة، و اضطر إلى الرحيل عن الأندلس بعد وفاة أخيه يحيى و بعدها سيطر على جزيرة ميرقة جزيرتي منرفة و يابسة و اقر فيهم حكمه على الدعوة المرابطية و كانت له مراسلات و هدايا و مهادنات مع الموحدين و قد تولى السلطة بعده على بني غانية.- انظر: ابن عذارى، البيان الموحدي...، ص 267.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 503.

[5]- ابن عذارى، البيان الموحدي...، ص 211.

[6]- نفسه، ص 208.

تمكن الموحدون من الدخول إلى جيان و قرمونة[1]، وقرطبة وغرناطة ضمت إليهم سنة 557هـ/1161م، هذا فضلاً عن ضمهم لبطليموس[2]، فخضع بذلك جزء كبير من بلاد الأندلس للموحدين، وتوفي عبد المؤمن سنة 558هـ/1162م[3].

تولى الخلافة الموحدية بعد وفاة عبد المؤمن ابنه أبو يعقوب يوسف الذي كان عصره أزهى الفترات التي عاشتها الدولة الموحدية الذي قام بعدّة أعمال مهمة في الأندلس وعدّة فتوحات فيها حتى توفي سنة 580هـ/1184م، وبوفاته قاد سلطان الموحدين الثالث المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي 580هـ/1198م جيشه سنة 591هـ/1195م، وانتصر على الاسبان انتصارا كبيرًا في موقعة الأرك[4] قرب بطليموس، في العام نفسه، ولم يقل هذا الإنتصار عن انتصار المرابطين من قبل في موقعة الزلاقة.

ج- مرحلة التراجع والانهيار:

بانهزام الموحدين أمام النصارى ببلاد الأندلس في معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م[5] بدأت الدولة الموحدية في طور الانحلال والتدهور، إذ فشل الناصر في تسيير دولته وإدارتها[6]، تسيير أمور الدولة بعد وفاته سنة610هـ/1213م ابنه يوسف المنتصر حيث

---

[1]-قرمونة: تقع شرق اشبيلية تبعد عن استنجة بخمسة و أربعين ميلا. – انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 461.

[2]- إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ، ط2، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1405هـ/1984م، ص 265.

[3]- ابن عذارى، البيان الموحدي...، ص 230.

[4]- موقعة الارك: يقع قرب قلعة رباح و هو من حصون النصارى بالأنلدس.- أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 27.

[5]- ابن عذارى، بيان الموحدي...، ص 307.

[6] - عمر موسى، المرجع السابق، ص 55- 56 .

عمل على إبعاد مشايخ الموحدين عنه ومال للراحة حتى أنّ أوامره باتت لا تنفذ، فضلاً عن ظهور المرينيين في عهده[1]، كما قامت عدة معارك أهلية داخلية على امتداد أكثر من خمسين سنة 609-668هـ/1212-1269م، فاستنفذت قواهم وأبيدت معظم عناصرهم.

انتهى حكم الموحدين بوفاة آخر خلفائهم أبي العباس إدريس الواثق بالله المعتمد عليه الملقب بأبي دبوس سنة 665هـ/1266م، وأصبح المرينيون سادة على المغرب الأقصى وقابلهم ببلاد الأندلس بنو الأحمر بغرناطة[2] والحفصيون بإفريقية وبنو عبد الواد بتلمسان.[3]

وننتهي بذلك فترة حكم الموحدين ببلاد المغرب بعد أن تمكنوا من توحيدها لتعود للانقسام مرة أخرى.

[1] - حسين مؤنس، تاريخ المغرب و الأندلس، ط1، دار مطابع المستقبل، القاهرة، 1980م، ص132.

[2] - ابن عذارى، بيان الموحدي... ، ص 335،336.

[3] - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط7، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1415هـ/1994م، ص 34.

الفصل الأول: التصوف وطرق انتشاره.

المبحث الأول: التصوف الإسلامي.

- تعريف التصوف.
- التصوف وحركة الزهد في بلاد المغرب.

المبحث الثاني: طرق انتشار التصوف.

- نزعة الزهد.
- إنتشار الربط.
- دور الرحلة في طلب العلم.

المبحث الأول: التصوف الإسلامي.

1-تعريف التصوف:

استقر العديد من العلماء على أنّ ماهية التصوف[1] هو عزوف النفس عن الدنيا وتخيلها عن ملاذها، والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زحف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور في لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وقد أعتبر فقها للباطن لاهتمامه بالأفعال الخاصة بالقلب، والأحكام المتعلقة بأفعال القلوب وما يخص المكلف في نفسه من أفعال الجوارح في عبادته وتناوله لضروریاته[2].

لقد اختلف الباحثون والدارسون في تحديد المعنى الذي نُسب إليه التصوف ولماذا سُمي بالتصوف؟ وحتى نقف على هذا الاختلاف بين أهم الأقوال التي وردت في هذا الموضوع، وخاصة في مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين، أي بعد أن بدأت ظاهرة التصوف في الانتشار وهذا على النحو التالي:

أ- التعريف اللغوي:

[1]- لغة: من تصوّف تصوفا أي صار من الصوفية أو شبه بالمتصوفين. لبس الصوف والتَصوُّف مصدر تصوَّف. محمد الباشا، الكافي معجم عربي حديث، ط1، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص265.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص381. - للمزيد انظر: أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1380هـ/1960م، ص25.

نسب الصوفية: أصحاب هذا الرأي ينسبون التصوف إلى صوفة بن بشر بن أدٌّ بن طانجة تفرغوا للعبادة في جوار مكة منذ القديم، فسموا بالصوفية، وهو الرأي الذي يميل إليه ابن الجوزي[1].

غير أنّ هذه المحاولة اعتبرها العديد من العلماء تقليلاً من شأن التصوف الإسلامي وكذلك نفى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ذلك للأسباب والحجج التالية:

إذا كان موافقا للنسب من حيث اللفظ، فإنه ضعيف لأن هؤلاء غير مشهورين عند عامة الناس، ولأنه لو نسب إلى هؤلاء الناس لكان هذا النسب في عهد الصحابة والتابعين الأولين، إضافة إلى أن من استعملوا اسم الصوفي لا يعرفون هذه القبيلة، ولا يرضون الانتساب إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام[2].

نسبة إلى الصفة[3]: وأصحاب هذا الرأي يجمعون على أن الصوفية مستوحاة من سلوك أهل الصفة وهم المهاجرون الذين اختصوا بالسكنى في صفة مسجد رسول (ص) مثل أبي هريرة الدّوسي وأبي ذر المعافري، وبلال الحبشي، وصهيب الرّومي، وسلمان الفارسي وأمثالهم...الخ[4].

غير أنّ هذا الاشتقاق اللغوي ينفي ذلك، لأنّ النسبة إلى الصفة هي صفّي، وليس صوفي وهو ما فنده ابن تيمية وابن خلدون.

---

[1]- الحافظ أبي فرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 1368هـ، ص163.

[2]- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القسم، مكتبة المعارف بالتصرف، ج10، ص341.

[3]- أهل الصفة: فقراء المهاجرين الذين سكنوا صفة مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم.- أنظر: عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل في تهذيب المسائل، تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص 52.

[4]- نفسه، ص52 .

فالأول اعتمد في النفي على عدم تطابق النسبة بين صفة وصوفي فيقول:" أنه نسبة إلى أهل الصفة وهو خاطئ لأنه لو كان كذلك لقيل صفي "[1]، في حين يبرز ابن خلدون نفيه بقوله: "واعلم أنّ أهل الصفة لم يكونوا مختصين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم بطريقة في العبادة، بل كانوا أسرة الصحابة في العبادة والقيام بوظائف الشريعة، وإنما اختصوا بملازمة المسجد للقربة والفقر، فإنّ المهاجرين من قريش نزلوا على أنظارهم من الأوس والخزرج، وآخى رسول الله صلّى الله عليه وسلم بينهم، وبقي الغرباء فآواهم إلى نفسه وأسكنهم مسجده..." إلى أن قال:" هذا مع أن قياس النسب إلى الصُّفة يأباه". وكذلك قال:" إنه مشتق من الصفاء "[2].

وهذه الآراء والاتجاهات على اختلافها هي الأخرى ضعيفة، حتى وإن كان من حيث المعنى يبدو صحيحًا لكن اللغة لا تقضي هذا النسب.

لقد نفى أبو القاسم القشيري وأحمد بن تيمية، هذه الآراء حيث قال القشيري:" ومن قال إنهم منسبون إلى صفة مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم" فالنسبة إلى صفة لا تجيء على نحو الصوفي، ومن قال إنه مشتق من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وقول من قال: إنه مشتق من الصف، كأنهم في الصف الأول، بقلوبهم فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف[3].

[1]- أحمد بن تيمية، المصدر السابق، ص342.

[2]- ابن خلدون، شفاء...، ص53.

[3]- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ط2، مطبعة البابي، مصر، 1959م، ص138.

أما أحمد بن تيمية فيقول: إنه نسبة إلى أهل الصفة، وهو خاطئ لأنه لو كان كذلك لقيل صفّي وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله. وهو أيضا غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفوي[1].

الصوفية نسبة إلى الصوف: وهو الرأي الشائع لدى الكثير، مقارنة بالآراء الأخرى وممن أخذ بهذا الرأي نذكر أحمد بن تيمية وبشيء من التحفظ ابن خلدون.

فذكر هؤلاء أنّ سبب التسمية بهذا الاسم هو ليس الصوف لكونه أرفق، ولكونه أيضا لباس الأنبياء عليهم السلام[2]. بينما يقول ابن تيمية:" وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم "صوفي" وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجدوا ذلك ولا علقوا الأمر به، لكن أُضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال... "[3].

في حين نجد ابن خلدون قد قلل من الرأي الذي ربط التسمية، بلباس الصوف واعتبره مجرد افتراض وتخمين، وحجته في ذلك أن الصوفية لم يختصوا بلباس دون لباس، ليخلص في الأخير أنّ التصوف "هو لقب وضع لهذه الطائفة علمًا لهم بما يتميزون به، ثم تصرف في ذلك اللقب بالاشتقاق منه فقيل متصوف وصوفي، والطريقة تصوف، والجماعة متصوفون وصوفيون"[4].

[1]- أحمد بن تيمية، الصُّوفية والفقراء، تقديم محمد جميل غازي، دار المدني، مصر، القاهرة، ص5.

[2]- السهرودي عبد القادر بن عبد الله، عوارف المعارف، ط2، دار الكتاب المغربي، بيروت، 1995م، ص5.

[3]- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ص342.

[4]- ابن خلدون، شفاء...، ص53.

ومن هنا نلاحظ أنّ ابن خلدون أيّد ما ذهب إليه القشيري في قوله:" إنه من الصوف، ولهذا يقال تصوّف، إذا لبس الصوف، وتقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، لينتهي في الأخير إلى أنّ هذا الاسم لم يشهد له من حيث اللغة العربية قياس ولا اشتقاق والأرجح أنه كاللقب، أي يعتبر اسم الصوفي اسما جامدًا، أو لقبًا أطلق على هذه الطائفة لتميزها عن غيرها فلا سأل عن معناه أو اشتقاقه[1].

بالإضافة إلى أنّ الصوفية أنفسهم كانوا ينسبون تسميتهم إلى الصوف حيث يروي أنّ أبا محمد بن أخي معروف الكرخي والذي يعتبر من كبار الصوفية ويلقب بالزاهد، دخل على أبي الحسن بن بشار عليه جبة صوف، فقال له، أبو الحسن:" يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك وألبس القوهى[2]، على القوهى[3].

وتستعمل الفارسية مقابل هذه الكلمة اصطلاحا و التي تعني أيضا "لابس الصوف" وهو"باشمينابوش"[4].

ومن خلال ما ذكرته المصادر نستخلص أنه بغض النظر عن التسمية فإنّ الصوفية كانوا يحبذون لباس الصوف خاصة وأنه علامة للتواضع والورع والفقر، ولباس الأنبياء وبعض الصحابة والأولياء.

---

[1]- القشيري، المصدر السابق، ص55.

[2]- القوهي: تعني الثياب البيضاء.- أنظر: ابن منظور، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، مصر، 1988م، مج17 ص429.

[3]- معروف الكرخي، الطبقات الصوفية، تحقيق ونشر جوسن بدرسن، مطبعة ليون، 1960، ص21.

[4]- نسيم حسبلاوي، الحياة الفكرية في الاندلس في عهد الدولة الاموية (138-422هـ/756-1031م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر، ص 150.

2-التعريف الاصطلاحي:

يعد التصوف من أهم المظاهر التي اصطبغت بها الحياة الروحية الإسلامية، فهو بحق مرآة عاكسة لها، حيث يخضع فيها الصوفي نفسه لقواعد وضوابط سلوكية ومبادئ في الأخلاق، ومناهج في تذوق الحياة، والتصوف بهذا المعنى قوامه فلسفة روحية تقوم على ذكر الاعتكاف، وتنتصر للروح على البدن.

يقول عبد الرحمن بدوي:" هو جانب من أخصب جوانب الحياة الروحية في الإسلام لأنه تعميق لمعاني العقيدة، استنباط الظواهر الشريعة، وتأمل أحوال الإنسان في الدنيا وتأويل للرموز والشعائر، يهبها قيمًا موغلة في الأسرار وانتصار الروح...[1].

إنّ الإنسان مركب من جسد وروح، وعليه فكان من الطبيعي أن كون لديه سلوكات ظاهرية، كالعبادات، والعادات، والمعاملات...و سلوكات باطنية منها المحمودة، كالحياء، الصبر، الشجاعة، العفة، الورع، ومنها المذمومة كالحسد، الرياء، الغب، الحقد...الخ. والقلب هو أساس صلاح هذا الإنسان كله[2].

ومن هنا نرى أنّ مصدر صلاح الإنسان الظاهرية، مرهونة بسلامة وصحة قلبه بل مصدر شقائه وسعادته، متوقف على هذه المضغة لأنّ الإيمان ما وقر في القلب وصدقهِ العمل، وكلما طغى العمل الظاهري، وانفصل عن الاعتقاد الباطني، طغى النفاق ولن يطغى النفاق والعمل

[1]- فلاح بن إسماعيل بن أحمد، العلاقة بين التشيع والتصوف، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية، جامعة إسلامية بالمدينة النبوية، شعبة العقيدة، 1411هـ، ص73.

[2]- حديث شريف، متفق عليه، أخرجه الشيخان البخاري ومسلم.

الظاهر، إلاّ إذا كان القلب مريضا وفاسدًا، في خضم هذه التحولات برزت جماعة متصوفة ساعية إلى الحفاظ على التطابق الباطني والعمل التعبدي والظاهرة، وبالمقابل مع الأغلبية التي تفشي فيها العمل الظاهري، واتبعت سبل الهوى، وفي هذا يقول ابن خلدون[1]:"اختلف الناس وتباينت المراتب، وفشا الميل عن الجادة والخروج عن الاستقامة، ونسى الناس أعمال القلوب وأغفلوها، وأقبل الجسم الفقير على صلاح الأعمال البدنية، والعناية بالمراسم الدينية، من غير التفات إلى الباطن ولا اهتمام بصلاحه وشغل الفقهاء بما تعم به البلوى من أحكام المعاملات والعبادات الظاهرة حسبما طالبهم بذلك، منصب الفتيا، وهداية الجمهور فاختص أرباب القلوب المقتدون بالسلف الصالح في أعمالهم الباطنة والظاهرة وسموا بالصوفية[2].

إذن فإنّ ظهور بعض التغيرات على هذه الظاهرة، أو خروجها عليها بقصد أو بغير قصد من بعض الشعوب أو من بعض الطوائف في فترة من فترات التاريخ، ليس بدليل أبدًا على انعدام هذه الفطرة أو عدم وجودها في الإنسان مبدئيًا، لأنّ السبب في ذلك قد يكون في ذلك فساد صورة التعبد الشائعة فيها، أو بطلان المعبود عقليًا وعلميًا، لأنّ الإنسان قد يفرط أحيانا في جانب من حمايته أو ينتمي ميلاً معينًا من ميوله الطبيعية بكرة الاهتمام دون غيره، فتؤدي هذه الحالة أو تلك إلى تناسي أو تجاهل الجانب الآخر من طبيعته وحياته الفطرية[3].

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص276.

[2]- نفسه، ص276.

[3]- قمر الكيلاني، في التصوف الإسلامي، ط1، دار مجلة شعر المكتبة العصرية، بيروت، ص38.

1- التصوف وحركة الزهد في بلاد المغرب الإسلامي:

إنّ طبيعة المغرب المتنوعة (جبال، سهول، هضاب، صحراء) تدعو إلى التأمل والتفكير، وتساعد على الانطواء على الذات، والزهد في مناهج الدنيا، ومن ثم فإنّ ظهور الزهد والتصوف لم يكن غريبًا على بلاد المغرب، فقد سبقها إلى المغرب قبل الفتح الإسلامي ومنذ القرن الرابع الميلادي ظهور الرهبنة، وانتشار الأديرة المسيحية، وردت إليه على الخصوص من مصر في فترات مختلفة بسبب الضغوط السياسية، وكان قد صادف ذلك ثورة الأهالي على السلطة المركزية الرومانية، وممثليها في مختلف مناطق المغرب[1].

وكما انتقلت الرهبنة، ونظام الأديرة من المشرق، وكذلك إنتقل الزهد والتصوف ونظام الأربطة من المرق، وتعتبر زيارة ذي النون المصري للمغرب[2] وهو من كبار المتصوفة عن حقيقة هذا الانتقال.

كان التصوف خلال القرنين الأول والثاني الهجريين/القرنيين السابع والثامن الميلاديين عبارة عن زهد، إذ اقتصر بعض المسلمين آنذاك على نمط خاص في حياتهم سواء في مأكلهم أو ملبسهم أو مسكنهم، إلى جانب إقبالهم عل العبادة والإكثار من الأدعية وتفضيلهم الآخرة عن الدنيا والعمل لها[3]، كالحسن البصيري[4] (ن110هـ/728م) الذي أراد أن يُكوّن نظاما قائما على القرآن

---

[1]- المالكي، رياض النفوس، تحقيق دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص312.

[2]- نفسه، ص313.

[3]- أبو الوفاء الغنيمي النفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1399هـ/1979م، ص17.

[4]- هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار البصري جمع كل فنون العلم وعمل على الزهد والورع في حياته والعكوف على العبادة توفي بالبصرة سنة 110هـ /728م. – أنظر: بن خلكان، المصدر السابق، ص 69-72.

والسنة والإقتداء بالسلف الصالح[1]، وتميز مذهبه باحتقار الدنيا والزهد في كل شيء والخوف من الله والحث على ذلك، هذا إلى جانب رابعة العدوية[2] التي جاءت بفكرة الحب الإلهي[3] واستطاعت الجمع ما بين الخوف والحزن من جهة والحب والشوق من جهة أخرى، وحبها لله لم يكن ناتجا عن خوفها من النار ولا عن طمعها في الجنة بل ابتغاء له عز وجل[4] ونظرا لخوف المتصوفة الشديد من عذاب الله تمسكوا بالشريعة الإسلامية وغدا بذلك زهدهم عملي معتدل، كما انفردوا عن غيرهم بطريقتهم الخاصة في العيش واللباس والسكن[5].

في القرنين الثالث والرابع الهجريين/القرنين التاسع والعاشر الميلاديين كثر عدد الزهاد والمتصوفة، نبين ذلك من خلال ما أورده المؤرخون لاسيما أصحاب الطبقات، نذكر منهم أحد المتصوفين في العلوم الشرعية، أصله من خرسان[6]، والحارث إبن أسد من أهل قفصة[7] ، وجبلة بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي (327هـ/938م)، كان زاهدا ورعًا والذي تبرأ من أموال أبيه، الذي

[1]- محمد جلال شرف، التصوف الإسلامي ومدارسه ونظرياته، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ص52.

[2]- هي أم الخير رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة العتبك، توفيت سنة 235هـ /849م. –أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص285-287.

[3]- شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، ط2، ج2، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رمضان 1408هـ /ماي 1988م، ص92.

[4]- عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط1، دار الجيل، بيروت، 1413هـ /1993م، ص167-168.

[5]- غني قاسم، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق، مرتجعة أحمد ناجي القيسي، محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1972م، ص43-45.

[6]- ابن فرحون برهان الدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط1، مطبع السعادة، مصر، 1429هـ /1911م، ص17.

[7]- المالكي، المصدر السابق، ص27.

كان مصاحبًا للسلطان[1]، وأبا عبد الله محمد بن حسن (ت383هـ/994م) وأبا عبد الله محمد بن أحمد الخياط الواعظ المعروف بابن قمرة المتقشف[2]، وسعيد بن إسحاق الفقيه المالكي صاحب سحنون[3].

كما ظهر التصوف بالأندلس متأخرًا عن ظهوره بالمغرب، ويعود ذلك إلى تنظيم الحياة الاجتماعية وطبيعتها ورخائها، والعدل القائم فيها[4].

لقد نقلت لنا المصادر، أسماء بعض الزهاد والمتصوفة الذين ساهموا في تنشيط المجالات الثقافية والاجتماعية بمختلف صورها خلال هذه القرون، ونذكر منهم أبو العباس بن أحمد بن الأغلب الذي شارك في الجهاد ومن مظاهر زهده لباس الصوف وامتناعه عن السكن في قصر والده[5]، وأبو سليمان بن عبد الله القيرواني الذي كان من أهل الصدق والانقطاع إلى الله عز وجل

كان كثير الترحال حتى أنه سكن الجبال بعد طوافه في المشرق[6] وأحمد بن عبد الله اللخمي (ت308هـ/920م)[7] وأحمد بن صالح الأنطاكي الصوفي قدم الأندلس سنة (372هـ/982م)

---

[1]- المالكي، المصدر السابق، ص28.

[2]- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ومحمد منصور، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1972، ص325.

[3]- نفسه، ص330.

[4]- المقري، المصدر السابق، ص220.

[5]- ابن الخطيب، تاريخ المغرب الوسيط، القسم الثالث عن كتاب أعمال الأعمال، تحقيق أحمد المختار العبادي ومحمد الكتاني، دار الكتاب اللبناني، 1964، 293.

[6]- الدباغ، المصدر السابق، ص293.

[7]- ابن عذارى، المصدر السابق، ص213.

وأحمد بن الحي الصوفي الكوفي وهو من أهل الأندلس[1]، وسعيد بن حمدون القيسي الكوفي (ت 378هـ/986م) من أهل قرطبة[2]

إلى جانب هؤلاء الزهاد المتصوفين، أوردت المصادر أسماء زاهدات متصوفات، فقد كان بعض النساء يرابطن في الربط مثل" نصرة" زوجة إبراهيم المتعبد[3].

لقد كان الزهاد والمتصوفون محترمين من قبل الخاصة والعامة كلمتهم مسموعة، يأخذ برأيهم وتجمع حول هؤلاء الصالحين الأتباع والمريدون ينهلون من علمهم ومعرفتهم[4]، وهذا بداية من القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر ميلادي، وخاصة خلال عصري المرابطين والموحدين لما اتخذوا التصوف منهجًا لحياتهم، فكانت الملامح البارزة لهذا التصوف هي الزهد والمجاهدة النفسية والإكثار من العبادة والأذكار، ولم يكن تصوفًا فلسفيًا، وامتازت هذه الفترة بوجود بعض أقطاب الصوفية حيث صارت لها فيما بعد تأثيرًا في الحياة السياسية بالمغرب فضلاً عن

[1]- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،ج1، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، بيروت، 1983، ص128-284.

[2]- نفسه، ص 311.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ص484.

[4]- دبوب محمد، مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3هـ-5هـ/9م-11م)، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2000م-2001م، ص24.

الحياة الروحية[1]، ولم يأخذ التصوف صيغته المتميزة في العهد المرابطي حيث لم تتكون الطرق والجماعات إلا مع بداية العصر الموحدي، فكان أقطاب التصوف الذين ظهروا في العصر المرابطي قد عاشوا قسطًا كبيرًا أو قليلاً من حياتهم في عهد الموحدين، وتركت أصابعهم بصماتهم على صفحة الحياة في مختلف مدن المغرب الإسلامي، حيث التف الكثير من أبناء هاته المدن حولهم يعظمونهم وينزلونهم منزلة التقديس[2].

ونلمس من خلال العرض لحياة بعض المتصوفة في العصرين المرابطين والموحدين أثرهم في الحياة السياسية للدولتين.

فالمتصوف أبو يعزى يلنور" النور بن عبد الرحمن بن أبي بكر الإيلاني المغربي" ولد عام488هـ/1095م، ساح في مختلف أنحاء المغرب، وقضى الجزء الأكبر من حياته بمدينة فاس حيث تلقى العلم عن أبي بكر بن العربي، فكان أبو يعزى مطلعًا على مبادئ التصوف، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها وأعلام زهادها، وكان الناس يفدون إليه في جميع أنحاء المغرب، يأخذون عنه ويسمعون منه، ويلتمسون عنده البركات، توفي عام572هـ/1176م وعمره يقارب مائه وثلاثون سنة[3].

---

[1]- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين دراسة سياسية (448هـ-668هـ/1056م-1269م)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص279.

[2]- نفسه، ص280 .

[3]- ابن الزيات التادلي، التشوق إلى رجال التصوف،ط2 ، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلة الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح ، دار البيضاء، ص48.

ومن أقطاب الصوفية أيضا الشيخ أبو الحسن الشاذلي المولود عام 593هـ/1196-1197م، بقرية شادلة من قرى غمارة بالقرب من سبتة، والذي تلقى الطريقة الصوفية على يد شيخه ابن عبد الله محمد ابن حرزهم وأخذ عنه الطريقة، فلما أصبح أهلاً للولاية بعد أن جمع العلم وورث روحانية أشاعها في جنبات المغرب شيوخ كبار مثل أبو مدين، وأبو يعزى وعبد الله ابن حرزهم وعبد السلام بن مشيش، أمره أستاذه أن يرحل عن فاس إلى تونس ثم إلى المشرق حين تنبأ له بما سيحدث في مستقبل أيامه[1].

وما يمكن إجماله عن التصوف والمتصوفة في هذين العصرين، أنهما لعبا دورًا مهما بحيث صاروا رمزًا للعدالة يلوذ بهم الناس من ظلم حكامهم، وكانوا ملجئهم حين ينزل بهم أزمة أو شدة، وهذا ما أثار في بعض الأحيان سوء الحكام منهم وحاولوا النيل والإيقاع بهم. كما اتخذ التصوف صيغته المتميزة وكان نواة لبداية تكوين الطرق الصوفية المعروفة فيما بعد[2].

[1]- أحمد حامد عبد الكريم الأصمي، المذاهب السنية في المآثر الشاذلية، مكتبة الجندي، مصر، 1969م، ص15.

[2]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص298.

المبحث الثاني: طرق انتشار التصوف بالغرب الإسلامي

لقد انتشر التصوف في بلاد المغرب من خلال الدروب التي انتهجها والتي أورته المصادر التاريخية والتي سنتطرق إليها فيما يلي:

أ-نزعة الزهد:

لم يتأخر ظهور الزهد في بلاد المغرب كثيرًا عن ظهوره في المشرق الإسلامي، فقد نزع كثيرًا من أهل المغرب إلى الزهد منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام في بلاد المغرب، ولم يكن نزوع المغاربة إلى الزهد راجعًا فقط إلى أن الحركات التي كانت تظهر في المشرق الإسلامي تجد صداها في الجناح الغربي، وإنما كان ذلك النزوع يرجع أيضا إلى عدة عوامل سياسية واقتصادية وثقافية ونفسية[1].

لقد ترتب على الفتح الإسلامي لبلاد المغرب تدفق كثير من المشارقة إلى تلك النواحي[2]، وعلى الرغم من تنوع مهامهم وتعدد أهدافهم فإنهم قد تضافروا جميعًا في انجاز أعظم حركة وأروعها لأسلمة بلاد المغرب وتعريبها، مما جعل بلاد المغرب جزءًا لا يتجزأ من عالم الإسلام والعروبة[3].

---

[1]- ابن عذارى، البيان الموحدي...، ص 264.

[2]- دبوب محمد، "دور حركة صوفية المغرب الإسلامي في الحياة الثقافية والفكرية وتفاعلاتها بالمشرق الإسلامي"، حولية المؤرخ، العدد2، إصدار اتحاد مؤرخين جزائريين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الأبيار، 2002، ص104-105.

[3]- الدباغ، المصدر السابق، ص 297.

نذكر من بين هؤلاء الزهاد البهلول بن راشد الزاهد الورع التقي وغيره كثير[1]، وفي تلمسان نجد وهب بن منية أحد التابعين الزهاد أُتخذ قبره مزارًا يُتبرك به بعد وفاته[2]، وبوهران اشتهر سيدي هيدور الزاهد المتعبد بجبلها[3]، الذي سمي باسمه وبقي كذلك إلى غاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حيث تغير اسمه[4] كما عرفت حركة الزهد بإفريقية ازدهارًا مع سحنون بن حبيب التنوخي[5] (ت240هـ/854م) وأتباعه من الزهاد[6]، وكان العُبّاد من ضمن الطلبة الذين كانوا يحضرون مجلسه، أملا في الاستفادة من علومه ومحاولة منهم للوصول إلى سبل النجاح في الآخرة، فهذا أحد طلبته قد استخدم الشعر وسيلة للدفاع عن العقيدة ومحاربة البدع[7]، ودعا إلى توحيد الله في قوله:

تهتك الستر عن ذي الغني والقندِ وحصحص الحق بعد البغي واللدد

وأيقن المشرك الداعي له ولدا بأن الله لم يولد ولم يلد

---

[1]- محمد قريز، تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي (النشأة والتطور)، محاضرات الموسم الثقافي 98-99م، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1420هـ/1999م، ص305.

[2]- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص117.

[3]- أبو راس محمد بن أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الحامة، رقم1632، ورقة 67.

[4]- المزاري، المصدر السابق، ج1، ص67.

[5]- قدم إلى افريقية سنة 191هـ/803م، وقد برع في الفقه والقضاء وكان زاهدًا في حياته.- أنظر: أبو العرب محمد بن تميم، طبقات علماء إفريقية وتونس، ط2، تقديم وتحقيق علي الشابي، نعيم حسن الباقي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص185 .

[6]- عياض، المصدر السابق، ج2، ص606- 617.

[7]- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 1981م، ص116-117، 131.

لا موت يدركه لا شيء يشبهه يبلي الآباد ولا يبلي على الأبد

وسبح ابن آدم من عاص لخالقه ومن مصر على الآثام معتقد[1]

وكان لهذا أثره على العلماء والطلبة الوافدين إلى إفريقية أمثال الشاعر بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي[2] (ت296هـ/909م) الذي أخذ عن سحنون أثناء تواجده بالقيروان[3].

لابد كذلك أن نشير إلى دور المذهب المالكي في نشر حركة الزهد والتقشف، فمّما أوثر عن فقهاء القيروان المالكيين عدم رضوخهم لرغبات الأمراء وإغراءات الحياة فشكلوا بذلك مثالاً للزهد[4] وخلال القرن الرابع للهجرة/ القرن العاشر للميلاد زاد انتشار الزهد حيث كثر عدد الزهاد بالمغرب، منهم الحارث بن أحمد القفصي وجبلة بن عبد الرحمن بن جبلة (إلى التخلي عن أموال والده وتبرأ منها، إلى جانب أبي الفصل العباس بن الصدفي) الذي عُرف بزهده وورعه، إلى جانب أبي الفضل العباس بن محمد الصواف القداسي(ت349هـ/969م)، وكذلك أبي عبد الله محمد الخياط الواعظ الملقب بابن قمرة المتقشف[5]، وامتد تأثير القيروان إلى صقلية إذ انتشر فيها تيار الزهد، وذلك بحكم علاقتها بإفريقية منذ فتح المسلمين لها حيث مال أهلها للجماد والمرابطة، ومع قيام

[1]- الدباغ، المصدر السابق، ص248.

[2]- بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي، ولد بتيهرت سنة 200هـ/816م من رواة الحديث نظم عدة مقطوعات شعرية في شقى الأغراض رحل إلى البصرة ولقي بها جماعة من العلماء، ثم رحل إلى القيروان وأقام بها بعدها رحل إلى تاهرت وتوفي بها سنة296هـ/909م.-انظر: الدباغ، المصدر السابق،ج2، ص281-282.

[3]- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1349هـ/1930م، ص56-57.

[4]- عياض، المصدر السابق، ج1، ص10.

[5]- دبوب، المرجع السابق، ص105-106.

الدولة الفاطمية وسيطرتها على صقلية زادت حركة الزهد ، ولعب القضاة الذين هاجروا من إفريقية إليها دورًا في نشر الزهد، وعلى سبيل المثال نذكر منهم أبا عمر وميمون بن عمرو

(ت310هـ/992م) الذي زهد في حياته وتقشف[1]، ومن زهادها الذين اتبعوا طريقة التصوف أبو القاسم عبد الرحمن البكري الصقلي[2]، وظلت القيروان منعًا ينهل منه الطلبة والعلماء الوافدون إليها خاصة في مجال الزهد إلى غاية سنة 449هـ/1057م حيث خُربت على إثر قدوم الهلاليين إليها[3].

من المعلوم أنّ المذهب السُنّي المالكي كان المذهب السائد في الأندلس على عهد أمراء بني أمية، الذين حرصوا على ترسيخه وعدم السماح بتعدد المذاهب في البلاد، لأسباب عديدة، لعلّ السياسة ومعاداة الخلفاء العباسيين كانت إحداهما فالمقديسي، الذي ألّف كتابه (أحسن التقاسيم) في أواخر القرن الرابع/ العاشر الميلادي، يروي عن أهل الأندلس قولهم "لا نعرف إلاّ كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربما قتلوه"[4]، كما ينفي المقدسي وجود خانقات (زوايا) في المغرب والأندلس إلى زمنه إذ يقول:

[1]- علي بن محمد سعيد الزهران، الحياة العلمية في صقلية(212-484هـ/826م-1091م)، سلسلة الرسائل العلمية، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1996م، ص463-464.

[2]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص98.

[3]- ابن خلدون، العبر...، ج6، ص349.

[4]- المقديسي، أحسن التقاسيم...، ص236.

" وقرأتُ في كتاب صنّفه بعض مشائخ الكراميّة بنيسابور أنّ بالمغرب سبعمائة خنقاة لهم، فقلت:" لا والله، ولا واحدة"[1].

إنّ أول أندلسي اشتهر بالزهد والتصوف كان محمد بن عبد الله بن مسَّرة (319هـ/931م) على عهد خليفة قرطبة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله[2]، المعروف بمذهب الإعتزال، ويقول بالاستطاعة (القدر)، استطاع بن مسرة أن يؤثر في الناس العامة منهم والخاصة، فانتشرت بذلك أفكاره في عدة مناطق بداية من قرطبة[3]، كما تجلت مظاهر الزهد والتقوى في مجموعة من العلماء الأندلسيين الزهاد أمثال أبي الأجنس الذي زهد في طعامه واقتصر على أكل ثلاث وجبات كل سبعة أيام في شهر رمضان، وقد عاش بين سنتي 180-206هـ/796-822م وسعيد بن عمران بن مشرف (ت275هـ/888م) هو الآخر كان كثير الإحسان وبلغ به الأمر أن تصدق بمعظم ميراثه على الفقراء، هذا فضلاً عن يُمن بن رزق صاحب المؤلف الذي سماه " كتاب الزهد"[4]، غير أنه قد برز من الزهاد الأندلس من زواج بين الزهد والجهاد، وحسبنا في ذلك نِعْم الحلف بن أبي الخطيب الذي أُستشهد سنة 298هـ/910م[5].

---

[1]- المقديسي، أحسن التقاسيم...، ، ص238.

[2]- قريبز، المرجع السابق، ص306.

[3]- أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1984م، ص260.

[4]- دومنيك إيرفوا، (علماء الأندلس)، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس (الفن والعمارة-التاريخ الاجتماعي-التاريخ الاقتصادي-الفلسفة-الدراسات الدينية-العلم والتكنولوجيا والزراعة)، ط2، ج2، تحرير لمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، نوفمبر 1999م، ص1231- 1234.

[5]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص416.

وتواصلت هذه الحركة بالأندلس خلال القرنين الرابع والخامس هجريين/القرنين العاشر والحادي عشر ميلاديين مع عفان بن محمد المعروف بأبي عثمان(ت307هـ/919م)، الذي كان كثير التعبد والصوم، ومحمد بن يزيد المكني بأبي عبد الله (390هـ/999م) وهو الآخر زهد في الدنيا ولم يتزوج قط، إلى جانب مسلمة بن محمد بن محمد بن مسلمة المعروف بأبي أحمد (391هـ/1000م) وعرف بكثرة الجهاد[1]، كما ظهرت في ألمرية على عهد المرابطين حركة زهد على رأسها أبو العباس أحمد بن العريف الصنهاجي (ت538 هـ/1141م) الذي كان له أتباع فباشبيلية وغرناطة وفي إقليم الغرب[2]، وهذا دون أن ننسى فضل العلماء الوافدين إلى بلاد الأندلس إذ كان لهم دور فعال في نشر نزعة الزهد، كأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهرتي[3].

ب- انتشار الرُبط:

الرباط[4]هو حصن دفاعي يتجمع فيه من نذروا أنفسهم للدفاع عن دولة الإسلام، وكان ظهور

---

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق ، ص 252-276.

[2]- توفيق الطيبي، المرجع السابق، ص262.

[3]- ابن باشكوال، المصدر السابق، ج2، ص405.

[4]- الرباط: لغة: من رابط يرابط، وهو ما رُبِطَ به وجمعه رُبُطُ، والرباط من الخيل (وربطها وملازمة) الخمسة فما فوق.- أنظر: ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج7، دار صادر، بيروت، لبنان، ص302.

اصطلاحًا: هو اعداد الخيل وربطها وملازمة ثغر العدو، فيقال:" فلان له رباط من الخيل" أي الحصن أو المكان الذي يرابط فيه الجند، أنظر: نفسه، ص302، محمد الأمين بلغيث، الرُبُاطُ بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، القافلة للتوزيع و النشر، الجزائر،2013، ص44، وقد وردت كلمة رباط في القرآن الكريم في سورة آل عمران الآية 200 في قوله:" يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون.."، ورأى السهرودي أنه ما يُربط فيه الخيل ثم تحول وأصبح يطلق على الثغور التي يدافع عنها من العدو، أنظر: السهرودي، المصدر السابق، ص104، كما أنّ رباط الخيل المذكور المعروف بالحصن أخذه المسلمون من الآية الكريمة:" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل" سورة الأنفال، الآية 60.

الرباط في أول الأمر على شواطئ المغرب[1] والتي تزامنت مع تعرضها لغارات البيزنطيين بعد الفتوحات الإسلامية، وقد رأى المسلمون أنّ حركة المرابطة في الثغور المتاحة للعدو جهادًا في سبيل الله، فاتخذت بذلك القيروان رباطًا للدفاع عن المسلمين من غارات الروم، وكان الرباط الذي بناه الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة179هـ/795م من أقدم الرُبُط بإفريقية[2]، وزاد انتشار الربط فأنشأ الأغالبة رباط سرسة سنة 206هـ/822م وعرف برباط المستينر، واشتهرت الربط عندهم باسم القصور والمحارس، وعمل المرابطون في هذه الربط على الاهتمام بالتدريب العسكري والفروسية حتى يصدون هجمات العدو، كما ركزوا اهتماماتهم في وقت السلم على الجانب العلمي كحفظ القرآن الكريم وتفسيره[3]، إلاّ أنّ الربط لم تظهر بالمغرب الأوسط إلا بعد القرن الخامس للهجرة/ القرن الحادي عشر للميلاد، ويرجع ذلك لحركة الجهاد البحري التي كانت المراسي مركزًا لها فنابت عن حركة المرابطة[4]، ويعتبر رباط شاكر[5] من الربط الأولى التي قامت بالمغرب الأقصى، وهو يحمل اسم أحد أصحاب عقبة بن نافع[6].

---

[1]- محمد أمين بلغيث، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين 479- 539هـ/1089-1144م، القافلة لنشر والتوزيع، القسم الثاني، 2013، ص 255.

[2]- بن بيه محمود عبد الله، الأثر السياسي لعلماء في عصر المرابطين، ط1، دار ابن حزم لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م، ص114-115.

[3]- عباس نصر الله، المرجع السابق، ص24.

[4]- ابن خلدون، مقدمة...، ص198-199.

[5]- إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج3، ص414.

[6]- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية...، ص144.

لم تكن الرباطات التي قامت بالمغرب كنظيرتها التي بالمشرق فهاته الأخيرة كانت تؤدي الدور الجهادي المنوط بها على عكس ما كانت عليه بالمغرب فقد كانت أكثر نفعًا وأبعد أثرًا في تطوير الحياة، فكانت تمارس بها العبادات ومعهدًا تعليميًا لتدريس العلوم الدينية[1].

لهذا الغرض تكاثرت الأربطة في ديار صنهاجة المغربية، إذ عمل الرجال أمثال عبد الله بن ياسين على نشر تعاليمها، فقد اتخذ رباطا على مصب نهر السينغال، وانعزل فيه للعبادة وتعليم أتباعه مبادئ الإسلام الصحيحة[2].

وقد كان للربط دور في تدريس والعبادة ومنطلق للقضاء على الفتنة، وحتى لنا حين إذن مدرسة ومعبدا ومعهدا لدولة المرابطين التي لعبت دورا جليلا في تاريخ المغرب والأندلس[3].

بفضل الحركة الثقافية للرباط أصبح عصر المرابطين من أزهى الفترات التاريخية في الثقافة والعلم، فلو لا التعاليم الرباط التي أشرقت وأنارت قلوب البربر نحو الإشعاع الثقافي والعلمي لما تحولوا من خشونتهم وغلاظتهم إلى مجاهدين في سبيل الله وحماة الحضارة والدين.

لقد استطاع ابن تومرت المتوفي سنة (524هـ/ 1129) بمنهجه السديد في عصر الموحدين من إكمال رسالة الجهاد والإسلام التي بدأها المرابطون وهذا من رباط ملالة الذي فر إليه خوفا

[1]- ديب صفية، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين (بين القرنين 6و7هـ/ 12و13م)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011، ص249.

[2]- نفسه، ص250.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص76.

من الحماديين، وقد أقام فيه شهر رمضان لسنة (512هـ/ 1118م) يلقي دروسا للطلاب اللذين كانوا يجتمعون حوله[1] وبوهران نجد رباط صلب الفتح، واعتاد طلبته ختم القرآن الكريم في ليلة 27 رمضان وكان يجتمع فيه العباد[2]، إضافة إلى مرسى ندرومة الذي احتوى رباطا يتبركون به[3]، أما بلاد الأندلس فقد قامت فيها الربط على مراحلها هي الأخرى لحمايتها من ضربات النصارى، وحسب الحوليات التاريخية الأندلسية فإن أول رباط عسكري عرفته السواحل الأندلسية بدأ يعرف توافد المتطوعين والزهاد لحماية الثغور البحرية يعود إلى أيام غزوات النورمانديين الشماليين أو الماجوس كما يسميهم ابن حيان القرطبي مؤرخ الأندلس[4].

ومن مجموعة الربط التي انتشرت بها نذكر رباط المرية[5] ورباطي عمروس والخشي وهما بجوار المرية[6]، وبغرب بلاد الأندلس قام رباط روطة[7]، فضلا عن مجموعة الربط التي أقام فيها لفقهاء أمثال بن محمد الشنتجالي (ت 436هـ/ 1044م) الذي رابط ببطليموس وشلب والرياحنة من أعمال شلب[8].

---

[1]- ابن خلدون، العبر...، ج6، ص467.

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، 126.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص576.

[4]- أمين بلغيث، الحياة الفكرية...، ص224.

[5]- الحميري، المصدر السابق، ص340.

[6]- حسين محمود، المرجع السابق، ص296.

[7]- الحميري، المصدر السابق، ص340.

[8]- حسن محمود، المرجع السابق، ص 299-300.

ومن الرباطات كذلك التي عرفتها بلاد الأندلس نذكر رابطة القابطة أو القبطية التي كانت بشرق المرية على الساحل[1]، ورابطة العقاب التي كان يتردد عليها ابن سبعين والشاشتري من حين لآخر مع أتباعهما يلقون فيها دروسهما.

كما أن الأستاذ بونابي أشار في دراسته أنه مع بداية النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م بدأ الرباط يفقد وظيفته العسكرية والمتمثلة في الحراسة، وبات المرابطون فيه يعملون على ممارسة العبادة والذكر واتخذ شكلا آخر عرف بها "بالرابطة" وهي عبارة عن بناء صغير يعمل فيه المتصوف على تعليم طرق التصوف للمريدين ونشرها بينهم[2]

ج- دور الرحلة في طلب العلم و الحج:

في بداية مرحلة الاستيعاب الثقافي و العلمي و الديني لثقافة المشرق في المغرب، أخذ طلاب العلم و الحجيج يشدون الرحال إلى المشرق و كان لهم هدفان طلب العلم[3] وأداء فريضة الحج فقصدوا الحواضر الكبرى مثل مكة و المدينة المنورة، و بغداد و الكوفة و البصرة أين التقوا

[1]- البكري، المصدر السابق، ص89.

[2]- بونابي، المرجع السابق، ص62.

1- طلب العلم و الرحلة، كان من أفضل و أهم الأعمال و القربات إلى الله بل هو فرض و واجب ، بحكم القران و السنة، قال تعالى:" اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ و ربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" سورة العلق:1-5.

بكبار العلماء و الفقهاء المشارقة ممن ذاع صيتهم في كل أنحاء العالم الإسلامي تشبعوا بآراءهم و فكرهم[1].

فهذا ابن مسرة قد رحل إلى القيروان ثم حج إلى مكة حيث التقى أبا سعيد بن العربي، الذي اخذ رواية الحديث على مذهب أهل السنة ستارا عمل عن طريقه على تعليم و شرح دقاق آراء الصوفية، فتأثر به ابن مسرة و اتضح بعد عودته إلى قرطبة و اتخذ من جبلها مكانا خاصا به يلتقي فيه مع أتباعه، يشرح لهم تعاليمه فيه سرا[2].

كما رحل عبد الرحمان بن مروان بن عبد الله الأنصاري(ت 413هـ/1022م) للحج و عاد إلى قرطبة سنة 371هـ/981م، ليقبل فيما بعد على الزهد و قراءة القرآن والعمل على التعليم[3]، هذا إلى جانب أبي مدين شعيب الذي نهل عن عمال المشرق أثناء تواجده هناك، واستفاد من زهاده وأوليائه كالشيخ عبد القادر الجيلالي (ت 560هـ/1164م) الذي لقيه بعرفة، فتخرج من مدرسته ألف شيخ[4].

كما توالت الرحلات الأسفار بين الأندلس والمشرق فكان الأهالي بالأندلس يرحلون لطلب العلم أو الحج، وفي المقابل يرحل أهالي المشرق في طلب المال والجاه، فانتشر بها أدب المقالي ومبتكرات زرياب، وحفل المغرب والمشرق بتصوف ابن عربي ومؤلفات ابن عبد ربه وابن رشد

[1]- ابن خلدون، المقدمة...، ص464.

[2]- بالناثيا أنجل حنبثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1945م، ص227-228.

[3]- ابن شكوال، المصدر السابق، ج2، ص481.

[4]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص149.

وابن الطفيل وابن حزم وغيرهم[1]، كما نجد القاضي أبا بكر ابن العربي (ت 543هـ/ 1148م) الذي تتلمذ على يد الغزالي وتبع طريق التصوف حيث أخذ عليه كتابه "الإحياء"[2]، عمل على حمل الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت 465هـ/ 1072م)، وأدخلها إلى الأندلس، إلى جانب كتاب "المستصفى" لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ/ 1111م)، وكتاب "قوت القلوب" لأبي طالب مكي (ت القرن3هـ/ 9م) الذي جاء به أبو بكر محمد بن نغمة القريشي (ت 494هـ/ 1125م)[3].

كما كان للبعثات العلمية الخاصة بالعلماء دور في نقل التصوف إلى الغرب الإسلامي، هذا إلى جانب مساهمة رحلات التجار[4]، فنقلت بذلك كتب ومصنفات الصوفية كرعاية حقوق الله للمحاسبي...وغيرها.

وكان كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي من أهم المصادر الصوفية التي عرفها متصوفة الغرب الإسلامي، وقد جلبه كل من ابن العربي وميمون بن ياسين المغربي إلى مراكش[5]، وهذا بعد عودته من الحج سنة (497هـ/ 1104م)[6]، ومما يؤكد رواجه وتداوله أنه وجد ببلاد المغرب معروضا للبيع حتى أن بعضهم كتبه بماء الذهب.

---

[1]- محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، ط1، نشر دار السلامة، 1983م، 1404، ص 95-96.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص320-321.

[3]- بوتشيش، المرجع السابق، ص129.

[4]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص72.

[5]- محمد المتوني، إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين (أبو حامد الغزالي، دراسة في فكره وعصره وتأثيره)، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 09، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م، ص126.

[6]- محمد رضا ، أبو حامد الغزالي (حياته وآراءه ومصنفاته)، مطبعة الوفد، مصدر 1343هـ/ 1924م، ص30.

كما أننا نجد متصوفة الغرب الإسلامي قد ساهموا بأنفسهم في نشر التصوف من خلال ما ألفه من كتب في هذا المجال، أمثال عبد الله بن محمد بن سليمان المعروف بابن الحاج (ت 419هـ/ 1028م)، الذي ألف في الزهد كتابا كبيرا[1]، إلى جانب أبي محمد عبد الحق الإشبيلي (ت 582هـ/ 1186م) الذي عمد إلى جمع شعره في الزهد في كتاب، وعرفت مؤلفاته رواجا كبيرا ببلاد المشرق، وأخذ طلبته على عاتقهم الالتزام بقراءتها[2]، وساهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن تجيبي (ت 610هـ/ 1214م) بالمؤلفات التي جاء بها في نشر التصوف، وفيما يخص صقيلية نجد محمد بن إبراهيم بن موسى المصري الصقلي الذي كانت له رحلة إلى العراق حيث أخذ عن علماء الحديث بها وحضر مجالس الجنيد[3]، ومن أبرز من ساهم في نشر التصوف بها أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي (ت380هـ/ 990م) إذ اتجه إلى المشرق للحج وسمع هناك من الزهاد، وخلال القرن الخامس للهجري/ القرن الحادي عشر ميلادي نجد بصيقلية عتيق السمنتاري الفقيه المحدث الزاهد السائح في الأرض الذي حج ولقي الزهاد وسمع منهم وله عدة مؤلفات[4].

[1]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص405-406.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص73-74.

[3]- إحسان عباس، العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب، دار المعارف، مصر ، القاهرة، 1995، ص115.

[4]- نفسه، ص119.

الفصل الثاني: التيارات الصوفية وأقطابها

المبحث الأول: التيار الصوفي السني وأقطابه.

المبحث الثاني: التيار الصوفي السني الفلسفي وأقطابه.

- أقطاب التيار الصوفي السني الفلسفي.
- اتجاهات التيار السني الفلسفي.

المبحث الثالث:التيار الصوفي الفلسفي.

المبحث الأول: التيار الصوفي السني وأقطابه.

1- التيار الصوفي السني.

اتبع أصحاب هذا التيار الشرع و ابتعدوا عن الخوض في المسائل الفلسفية إلى جانب إقبالهم على العبادة والإكثار من الأدعية، وتفضيلهم الآخرة عن دنيا والعمل لها[1]، فبذلك كان تصوفهم بسيطا عبارة عن نظام قائما على القرآن والسنة والإقتداء بالسلف الصالح و باحتقار الدنيا والزهد في كل شيء والخوف من الله نظرا للخوف الشديد من عذابه[2].

حيث عمد أصحاب هذا التيار على نهج أسلوب المجاهدات، كالصيام والقيام والزهد في الحياة إلى جانب ميلهم إلى قراءة الرقائق، واجتهد العديد منهم في محاسبة النفس وتأنيبهم لها وكان بعضهم دائم العبادة والحزن والخوف من الله[3]، حتى أن أحدهم بلغت به درجة محاسبته لنفسه أن رفض تناول الدواء عند مرضه وأقبل على الصيام حتى وفته المنية [4].

فقد برز في هذا التيار أبي عمرو عثمان بن علي التلمساني (542هـ -1147م) الذي كان يختم القرآن في كل ليلة [5]، وأقبل زكرياء بن يوغان الصنهاجي (ت:537هـ-1177م) على القيام

---

[1]- بوتشيش ، المغرب و الأندلس...، ص 130.

[2]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس (عصر المرابطين و الموحدين)، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،1980م، ص476.

[3]- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية...، ص445.

[4]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص142.

[5]- نفسه، ص180.

بالمجاهدات والرياضات النفسية بالإضافة إلى أبي إسحاق إبراهيم بن يسول الاشبيلي (ت:6هـ/1118م) و أبي عبد الله محمد بن عـــلي العمراني المـــعروف بمداومته على العـــبادة و بكراماته الصوفية حتى أن الناس يعظمونه و فضل على أبي مدين شعيب[1].

وهذه المرحلة التي مر بها التصوف تعرف باسم **المجاهدة النفسية** و اندرج ضمن هذا التيار أيضا أبو جعفر محمد بن عبد الملك الضبي (ت:577هـ-1188م) وهو من ذوي الجهد والصيام والقيام منقبضا عن الدنيا[2]. أمّا عبد الحميد بن صالح السكوري فقد أمر أن يكبل من رجليه وانعزل في غرفة لوحده وأنقطع عن الطعام طيلة28 يوم، و أحمد بن عمر بن أفرند الذي زهد في الدنيا إلى جانب عبد الرحمان بن صقر الأنصاري الذي اشتهر بالزهد وبالصدقة والإيثار و اعتكف على قراءة الرقائق وعلي بن هذيل (ت:564هـ-1168م) اشتهر بالزهد والصيام وكثرة صدقاته[3].

وأقبل أبو عبد الله محمد على القيام بمجهدات كالصيام والزهد في الدنيا وسار على نحوه كل من أبو جعفر أحمد بن محمد القرطبي (ت:611هـ-1214م) وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الغرناطي.

[1]- ابن الزيات ، المصدر السابق ،ص90 .

[2]- ابن الابار ، التكملة...، ص 80

[3]- ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ،تحقيق محمد بن شريفة، القسم1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 264-265.

وجلّ هؤلاء عملوا على جعل أفعال الخير تصدر عن أنفسهم عن طريق تدريبها بالرياضات التي يتم من خلالها الابتعاد عن الدنيا وعدم الاهتمام بملذاتها وساعدهم في ذلك كثرة الصيام والعبادات كقيام الليل والتهجد فتعودت أنفسهم بعدها على تلك. الرياضات[1]، وقد تمسك أتباع التيار السني بالقرآن الكريم والسنة النبوية واتخذهما أساسا لتصوفهم فاهتموا بالزهد والعبادات والجانب الأخلاقي وبات عندهم الفعل أو الترك سواء وهذا ما يعرف **بمجاهدة الاستقامة**[2].

والحقيقة أن هذا التصوف قام على أساس مجموعة من القواعد جاءت في بدايتها في محاسبة النفس وهي مفروضة على كل صوفي سني[3]، لأن النفس أمارة بالسوء وكذلك محبة للغير ورأفتا بهم وأخيرا التحلي بمكارم الأخلاق. إذ نجد هذه الأخيرة قد أخذت مكانا هاما في التصوف السني وأصبح لا يصح إلا بصحتها[4]، حيث انكب أصحاب التيار السني على الدفاع عن الإسلام ونشر مبادئه.

ومن بينهم نجد وجاج بن زلو اللمطي الذي بني دار للطلبة وعمل على نشر أفكاره ومبادئ الإسلام واندرج ضمن هذا التيار أيضا أبو محمد عبد الواحد بن تومرت الهسكوري الذي حارب إلى جانب الموحدين بالأندلس في معركة الأرك (591هـ-1195م)، واستشهد فيها وأبو صبر أيوب بن عبد الله الذي اشتهر بالزهد والتصوف وهو من المتصوفين المجاهدين استشهد بمعركة

[1]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ص 397-398.

[2]- ابن خلدون، شفاء السائل، ص 77.

[3]- عبد الكريم الجزائري، التصوف في ميزان الإسلام، ط1، دار هومة للطباعة و النشر، بوزريعة، الجزائر،1997، ص 40-42.

[4]- نفسه، ص 48-49.

حصن العقاب (ت:609هـ-1212م)[1]. وقد شارك في هذه المعركة العديد من المتصوفة الزهاد الذين أثروا الجهاد والمرابطة بالثغور على الاعتكاف بالعبادة والقيام بالمجهدات.

وهذا ما عرف بالمجاهدة العملية حيث رفض أصحاب هذه الأخيرة مبدأ المجاهدة النفسية واتبعوا أثر السلف الصالح ،وعملوا على المرابطة بالثغور والربط ودفاع عن المسلمين لأجل الاستشهاد[2]، وحسبنا في ذلك أيضا الإمام الزاهد الفقيه أبو علي الصدفي الذي لم يتردد في المشاركة بمعركة كتندة في اغتنام الشهادة [3].

هناك من المتصوفة السنيين من اتبعوا أسلوب **الوعظ والتذكير** للدعوة الناس إلى حب الله والحث على العمل للآخرة واجتهدوا في محاربة البدع وتشددوا في ذلك، والتزموا بإتباع السنة، ومن هؤلاء علي بن مبارك(ت:500هـ-1106م) الذي عمل على وعظ الناس بمرسية وعليم بن عبد العزيز (ت:564هـ-1168م) الذي حرص أثاء تواجده في نصح الناس ووعظهم وحرص على تغيير المنكر والتفرغ للعبادة وقراءة كتبه[4]، وعلي بن حسين بن محمد الشقري الذي عمد أيضا على وعظ الناس ودعاهم إلى المعروف ونهاهم عن المنكر، فقد عرف اتجاهه الوعظي انتشار واسع عمل بعض المتصوفة على اتخاذ الربط لوعظ غيرهم كابي محمد تيلجي الذي كان واعظ برباط شاكر.

---

[1]- ابن الآبار ، التكملة.....، ج1، ص 202،

[2]- حسين مؤنس ، المغرب و الاندلس، ص 28.

[3]- السيوطي ،المصدر السابق، ص 479.

[4]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، القسم5 ،ص 405 .

يد أن المتصوف عبد الحق الاشبيلي، كان من تلامذة أبو مدين شعيب وحضر مجالسه[1] فقد لزم الزهد فتقلل من الدنيا واشتهر بالتزامه السنة واتبع أسلوب التفكير بالموت وأهواله لينهى الناس عن حب الدنيا وملذاتها ويدعوهم إلى العمل للآخرة وهذا ما تبين في مختلف أشعاره ومؤلفاته فكان أسلوبه في الكتابة ذو نزعة سنية ابتعد عن استخدام الرموز والألغاز التي اشتهر بها غيره من المتصوفة المغرب الإسلامي[2]، وتأثر بأفكاره مروان بن عمار بن يحي البجائي وعبد الله الرحمان التجيبي الذي دخل تلمسان وألف عدة مؤلفات في الزهد والمواعظ منها أربعون حديثا في المواعظ وأخرى في الفقر وفضله وعرفت أفكاره في الوعظ والزهد رواجا وانتشرا بتلمسان[3].

بالإضافة إلى محمد بن حماد الصنهاجي(ت:628هـ-1230م) وأخذ عن عبد الحق كل من ضياء الدين أبي العباس الأنصاري القرطبي وأبي محمد عبد العزيز التميمي التونسي وكان محمد بن عبد الله الأنصاري البلنسي (ت:640هـ-1248م)، هو الأخر من المتصوفين الواعظين إذ كان له عدة مؤلفات في هذا المجال " **كنسيم الصبا في الوعظ**" " و " **بغية النفوس الزكية في الخطب** "الوعظية"[4]، وفي تلمسان ظهر أبو عبد الله ابن الحجام صاحب المواعظ الكثيرة حيث قام مجلسه على وعظ وتذكير الناس من جهة وتحذيرهم وتخويفهم من جهة أخرى[5].

---

[1]- رابح بونار، عيد الحق الاشبيلي، "محدث القرن 6هـ"، مجلة الأصالة، العدد19، السنة 4، مارس أبريل، 1974م، ص154.

[2]- رابح بونار ، المرجع السابق، ص 159.

[3]- المقري ، المصدر السابق، ص 160.

[4]- ابن الآبار، التكملة....،ح2، ص 652.

[5]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 463 .

وكان ظهور أصحاب الوعظ والتذكير بالغرب الإسلام إبان عصري المرابطين والموحدين يرجع للأوضاع ،التي تخبط فيها المجتمع آنذاك وانتشار المنكرات به والتفسخ الأخلاقي فكان بمثابة تيار معاكس لتلك الأوضاع واعتمد رواده أسلوب **التخويف والتشدد** كأساس لردع النفس البشرية الأمارة بالسوء، التي لا تنفعل إلا بالخوف والترهيب[1]، و إلى جانب هذا هناك من المتصوفين الذين عمدوا إلى اعتزال الناس وانقطاع عنهم إما في منازلهم أو في زوايا المساجد أو في الجبال والكهوف والمغارات حتى في المقابر.

كما برز مجموعة من المتصوفة الذين كانوا ينقطعون عن الناس للعبادة والعلم بجبل خارج بجاية خلال القرن السادس للهجري وثاني عشر للميلاد، وهذا ما يعرف **بالخلوة و الانقطاع**[2] ومن بين هؤلاء المتصوفين نذكر خلف بن سليمان (ت:505هـ-1111م) الذي لم يكن يغادر بيته إلا يوم الجمعة حيث ألزم نفسه بصيام الدهر وأبي الحسن علي بن عبد الرحمان المالقي (ت:533هـ-1138م) هو الأخر اعتكف في بيته طيلة 25سنة إلا أن وافته المنية ،وأبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الطليطلي الذي قام بواد "أش "واشتهر بالصلاح والورع والزهد و الإنقباظ عن الناس[3].

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص 136.

[2]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 81، 102.

[3]- ابن الآبار، التكملة...، ج1، ص 145.

سار على نهجه أحمد بن عبد القادر الهمذاني الغرناطي وكذلك أبى جعفر أحمد بن يوسف البلنسي (ت:615هـ-1218م)[1]، وأبا عبد الله محمد بن يحيى المصالي الذي عاش خلال القرن السادس هجري وثاني عشر للميلاد الذي انقطع عن الناس ولم يكن يرى إلا يوم الجمعة وفي الأعياد[2].

كما برز أبو محمد عبد السلام ابن أبي عبد الله أمغار من المتصوفة الذين اعتكفوا المبتعدين عن الدنيا وابنه أبو يعقوب يوسف أيضا من المتصوفة واشتهر بعلو شأنه بين الناس وتميزت أسرة أل أمغار بالصلاح والخير[3] وحرصوا على إتباع السنة في تصوفهم.

وهناك أيضا أبو القاسم أحمد القيسي (ت:675هـ-1276م) أما أبو الحسن عبد الله الأزدي (ت:691هـ-1291م) فقد رحل من رندة إلى بجاية واستوطن بها وانقطع عن مخالطة الناس وتشدد في محاربة الشطحات من المتصوفة، كما لم يكن متسامحا مع من خالف الشريعة وهناك من المتصوفة الذين اتبعوا طريق التصوف دون سابق دراية بمبادئه ونظرياته، ولم يكن لهم اطلاع عليه وكان تصوفهم ناتج عن ظرف ما و حادثة غيرت سلوكهم ودفعتهم إلى ولوج الزهد والتقشف فكان تصوفهم تلقائيا أي التصوف التلقائي بيد أن أتباع هذا التصوف شكلوا نسبة قليلة إذ ما قورنوا بغيرهم ممن درسوا عن التصوف ونهلوا عن مشايخهم ومن بين هؤلاء -مروان بن عبد

[1]- ابن الآبار، التكملة...، ج108.

[2]- الصدفي، السر المصون فيما أكرم به المخلصون، ط1، تحقيق حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، 1409هـ/1989م، ص 65.

[3]- تقي الدين محمد بن احمد الفاسي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج6، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية عابدين، القاهرة، مصر، 1385هـ/ 1966م، 157.

الملك اللمتوني العابد (ت:572هـ - 1176م) الذي عمل على حفر كهف انعزل فيه للتعبد وسمي باسمه" درب العابد".

وأبو محمد صالح بن عمر تخلى عن الدنيا والتزم حياة الزهد والتقشف ، وأبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي رأى الله في نومه فتصدق بكل أمواله واعتزل حياة الترف والبذخ[1].

إلى جانب أبو عبد الله محمد التاونتي المعروف بابن الميلي (ت: 590هـ -1193م) الذي لبس جبة راعي ومنحه ثوبه ورحل عن الأندلس إلى تلمسان فأثر بذلك حياة الزهد والتصوف عن الترف والإسراف اللذين كان فيهما من قبل.

فضلا عن أبي علي بن العباس المعروف بالحباك (ت:613 هـ -1216م) الذي تاب في جنازة أبي مدين شعيب حين رأى التفاف الناس حوله الآمر الذي يدفع به إلى ترك حياة الغنى والترف التي كان فيها وأقدم على إعطاء ملابسه للفقير ولبس مرقعته ، ناهيك عن العديد من المتصوفة ممن تابوا بعدما كانوا سراقا و أو من أصحاب الدعارة وقطاع الطرق فضلا عن من كان مغنيا في الأعراس مسرفا على نفسه أو ممن يشربون الخمر[2] .

[1]- زينب ملياني، التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2006-2007م/1427هـ-1428هـ، ص 83.

[2]- نفسه، ص 84.

المبحث الثاني: التيار الصوفي السني الفلسفي.

خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي اتجه المتصوفة إلى ما يعرف بالكشف[1] من خلال معرفة صفات المولى عز وجل ورؤية العرش والكرسي والملائكة[2]، وحتى يتسنى للمتصوف الكشف عن عالم الغيب فلا بد له من أن ينجح في المجاهدات التقوى والاستقامة مع إشراف أحد الشيوخ عليه ممن كشف له عالم الغيب، إذ يجعله المريد قدوته فيتبع نصائحه ويعتزل الناس ويقوم بمجموعة مجاهدات ويلتزم الصمت ويعمل على الصيام وقيام الليل فيخمد بذلك إحساسه[3]، وقد أكد القشيري على أنه: "يجب على المريد أن يتأدب بشيخ.... فإذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا نفسا فهو عابد هوى، لا يجد نفاذا... "[4]، إذ يمكن أن يغيب على القلب المريد له أن تنقطع مجاهدته وتفتر لذا عليه أن يداوم على تلك المجاهدات ويلازمها طوال حياته حتى يتمكن له في الأخير الكشف، حينما يتعرض المريد للمواهب الربانية والعلوم الدينية[5]، ويدرك حقائق الوجود والكثير من الوقائع قبل حدوثها، ويتعرض نفس المريد أثناء قيامه بالمجاهدات التي سبق ذكرها إلى عدة صفات خارجة عن إرادته، كالسرور والحزن والطرب والابتهاج والشوق

---

[1]- الكشف: عرفه الطوسي قائلا: "الكشف بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين".- أنظر: الطوسي، المصدر السابق، ص422.

[2] - بونابي طاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12و13 الميلاديين، ب ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ، ص39.

[3]- ابن خلدون، الشفاء السائل...، ص82.

[4]- القشيري، المصدر السابق، 449.

[5]- العلم اللدني هو أقوى وأحكم من العلم المكتسب بالتعلم، ولا يحتاج منه الإنسان إلى واسطة في حصوله بين النفس وبين الله، بل هو كالضوء يقع على قلب المريد. – أنظر: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1999، ص679.

والانزعاج والرجاء والخوف...إلخ، وهي مواهب من الله، خارجة عن الكسب، وبهذا فقد اتبع أصحاب المجاهدة النفسية والخلوة والذكر للوصول إلى كشف حجاب الحس للإطلاع على الحقائق الإلهية، وإدراك العلوم الدنية، وحافظوا في كل ذلك على أن يكون سلوكهم موافقا للشريعة[1]، وقد شمل مجموعة من المتصوفة نجملهم فيما يلي:

- **أبو حامد الغزالي وأتباعه:**

لقد انتصر الغزالي للتصوف السني الفلسفي القائم على الكتاب والسنة وضمن كتابه "حياة علو الدين" أحكام الورع والاقتداء، إلى جانب شرح مصطلحات المتصوفة وتبيين آدابهم، وقد تأثر بمبادئه مجموعة من المتصوفة التي كانت لهم بمثابة القاعدة فداوموا على قراءة مؤلفاته ونشروا أفكاره وآرائه[2]، حيث تمكن أتباع الغزالي الذين يدعون بالغزليون من الاطلاع على أفكاره الصوفية، وفي مقدمتها كتابه "الإحياء" الذي نقل إلى الغرب الإسلامي مع العلماء، أثناء تأديتهم لمناسك الحج أو من خلال الرحلات العلمية، وسمح لهم ذلك بالالتفاف بأتباع الغزالي فأخذوا عندهم أفكاره ومؤلفاته[3]، وساهموا في نشرها رغم الظروف الصعبة التي وقفت حاجز أمام الاطلاع على مؤلفه الذي قوبل بالرفض من قبل السلطة المرابطية التي أقدمت على حرقه[4]، ومن بين الذين تتلمذوا

[1]- أنظر ابن خلدون، شفاء السائل....، ص88.- للمزيد انظر: ابن خلدون، المقدمة...، ص382.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991، ص43.

[3]- بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص149- 164. للمزيد أنظر: ابن القاضي، المصدر السابق، القسم 1، ص 261.

[4]- ابن القطان، المصدر السابق، ص 14 – 15.

على يد الإمام الغزالي أبو بكر العربي المعافري (ت 543هـ/1148م) من المهتمين بالزهد والتصوف.

وقد استفاد منه عدد كبير من العلماء، كما أخذ عنه بعض المتصوفة الذين اشتهروا فيما بعد[1]،واستطاع متصوفة الغرب الإسلامي رغم كل الظروف الاطلاع على مذهب الغزالي الصوفي من خلال كتابه "الإحياء" فنجد منهم من كان أميا إلا أنه بلغ شأنا كبيرا في التصوف كالمتصوف أبو يعزي يلنور (ت 572هـ/1176م) الذي وصف بالقطب[2]، وكانوا يدعون باسم مولاي بوعزة على السبيل التعظيم له[3]، وممن تأثروا بالغزالي أيضا أبو شعيب بن سعيد الصنهاجي (ت 561هـ/1165م) الذي ألزم نفسه التصوف بكل الأموال التي رجعت إليه من أجرته على تعليمه للأطفال وذلك لخوفه الشديد من الله، وداوم على القيام بالمجاهدات والرياضيات فرمى بنفسه في بالوادي ليقهرها حتى لا تنازعه في الوضوء بالماء البارد، وبرز أيضا أبو الفضل ابن يوسف بن النحوي (ت 513هـ/ 1119م) الذي شبه بالغزالي في علمه[4].

[1]- أبو بكر العربي، آراء أبي بكر العربي الكلامية من كتاب العواصم والقواسم، ج2، تحقيق ونشر عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 30 – 31.

[2]- القطب: هو الجامع للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة ويسمى قطب كل من دار عليه مقام أما من المقامات وانفرد به في زمانه على أبناء جنسه.- أنظر: رفيق العجم، المرجع السابق، ص 77.

[3]- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ج2، المطبعة الملكية الرباط، 1399هـ /1979م، ص 211.

[4]- التنبكي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (في التراجم المالكية)، ط1، تعليق أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2002م، ص 471.

حرص على إتباع الشرع والفقه المالكي الذي أشاد بإمامه مالك[1]، حتى أنه دافع عنه بشدة عندما أفتى الأمير المرابطي بإحراقه، وقام بنسخ كتاب "الإحياء" في ثلاثين جزءا وعمل في شهر رمضان على قراءة جزء منه كل يوم، وقد غلبت عليه حالة الحضور مع الله فكان يصلي ولا يأبه بكثرة الأصوات بداره[2]، هذا إلى جانب المتصوف أبو جبل (ت 501هـ/1107م) صاحب المجاهدات والسياحات الكثيرة التي أراد من خلالها الوصول إلى إدراك العلوم الدنية[3]، وقد تأثر أبو مدين شعيب (594هـ/1197م) هو الأخر بالغزالي وكان يقول: "نظرت في كتب التصوف فما رأيت مثل الإحياء للغزالي"، واستطاع أن يبني أفكاره على أساس التصوف القائم على فكر الغزالي مكونا بذلك اتجاها مبسطا كان له أتباعه ومناصروه عرفوا بالمدنيين[4].

- **أبو مدين شعيب وأتباعه:**

تنوعت ثقافة هذا المتصوف بحكم المناطق التي رحل إليها والمشايخ الذين أخذ عنهم واكتسب بذلك ثلاث ثقافات أندلسية ومغربية ومشرقية وخلص في الأخير إلى طرح مذهب صوفي مزج فيه بين ما أخذه من الأندلس والمغرب والمشرق من ثقافات، وقد قام على عدة أسس فرأى أن

[1]- عياض، المصدر السابق، ج1، ص 252.
[2]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 73-74.
[3]- نفسه، ص 135.
[4]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 107.

الزهد الحقيقي هو الذي يطهر قلب المريد من شهوات الدنيا ويغمره بحبه لله، فقال: "التعظيم امتلاك القلب بإحلال الرَّب"[1]، ويتم ذلك بالمداولة على ذكره تعالى عز وجل وقال في هذا السياق:

إني إذا ما ذكرت رب *** يهتزُ شوقي إلى لقاه

طابت حياتي وضاء قلبي *** بذكر ربي خل ثناه[2].

كما رأى ضرورة محاسبة المريد لنفسه بالقيام بالرياضيات، فقال: "من لم يجد في قلبه زاجرا فهو خراب"، حتى يفرغ بذلك قلبه من أمور الدنيا وعما سوى الله ويتمكن المريد من الوصول إلى مرحلة الكشف بعد تطهير لقلبه، ويكشف له حينها الحقيقة الإلهية فيكسب العلوم الدنية، واستطاع أبو مدين شعيب بآرائه التي برزها أن يوافق بين عدة نظريات صوفية تفهمها من خلال ثقافته المشرقية والمغربية والأندلسية التي ضمنت له ذلك، فدمجها وخلص في الأخير إلى مذهب صوفي حمل أفكاره[3].

وكان أبو مدين يسمى بشيخ الشيوخ وتلميذه ابن العربي هو من أطلق عليه هذا الاسم[4]. وقد كان له ببجاية مسجدان اجتمع فيها بأتباعه وأصحابه الذين استفادوا من علومه، كما كان يتردد على رابطة ابن الزيات، لمراقبة طلبته وهم يؤدون أورادهم ويسبحون ويذكرون الله[5]، وقد ألف كتاب "انس التوحيد ونزهة المريد" الذي أراد من خلاله تقريب الطريق للمريدين، وتخرج على يده عدد

[1] - الغبريني، المصدر السابق، ص 56.

[2] - العربي بن مصطفى الشوار، ديوان القطب الرباني العارف بالله الغوث الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي الاشبيلي ت 594هـ، ط1، مطبعة الترقي بدمشق، 1357هـ/1938م، ص 80.

[3] - ابن القنفد، أنس الفقير، ص94. لمزيد من المعلومات أنظر:- الغبريني، المصدر السابق، ص63.

[4] - الحنبلي أبو عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج4، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، مج2، ص 303.

[5] - المقري، المصدر السابق، ص 143.

كبير من الطلبة تأثروا بتياره الصوفي[1]، وممن تتلمذوا له أبو عبد الله محمد الصنهاجي القلي (ت 628هـ/ 1230م) الذي لقيه ببجاية وأخذ عنه كما تأثر أبو محمد صالح بن محمد الفاسي المسكوري (ت 653 هـ/ 656هـ/1255 – 1258م)، باتجاه أبي مدين الصوفي واشتهر بالعدالة[2]، وكان المريدون يسافرون للقاء أبي مدين من كل مكان لينهلوا من علومه ويتشبعون بأفكاره الصوفية التي عرفت انتشارا واسعا، والشيخ طاهر المزوغي[3](ت 646هـ/ 1248م) الذي تأثر بأبي مدين هو الأخر وعمل على نشر أفكاره بسوسة[4].

- **أبي الحسن الشاذلي وأتباعه:**

تتلمذ أبي الحسن الشاذلي[5] على يد مجموعة من المشايخ الذين نهلوا عن المتصوف الشهير أبا مدين شعيب، كأبي محمد عبد السلام بن مشيش[6] (ت 625هـ/1227م) وسمي أتباعه بالشاذليين نسبة إليه، أخذ بتونس عن أبي سعيد خلف الباجي التميمي وكان يدرس برباط في جبل

---

[1]- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة وطبع محمد ابن أبي شنب، ديوان المطبوعات، الجامعة الجزائر ، ص 108.

[2]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 266.

[3]- هو من عرب مزوغة بإفريقية وانتقل إلى تونس للدراسة ثم تجول بعدة مناطق ودخل بجاية ثم عاد إلى إفريقية حيث توفي بها سنة 646هـ / 1248م.- انظر: بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 244.

[4]- بونابي، المرجع السابق، ص 279.

[5]- نسبة إلى قرية شاذلة بإفريقية تلقى العلوم الشرعية وأتقنها، ثم سلك التصوف ورحل إلى الإسكندرية، توفي وهو في طريقه إلى الحج بصحراء عيذاب سنة (656هـ/ 1258م) أنظر المناوي.- المصدر السابق، ج2، ص 470 – 471.

[6]- محي الدين الطعمي، طبقات الشاذلية الكبرى، ط1، دار الجبل، بيروت (1416هـ/ 1996م)، ص173.-للمزيد انظر:
Louis Rim , Marabouts et Khauan (étude l'islam en Algérie), libraire de l'académie, 1884, p,218 – 219.

أما عبد السلام بن مشيش فقد ولد سنة (559هـ/1163م) أو سنة (563هـ/1167م) بقرية الحصين وهو من بني عروس بتطوان وهو إمام أئمة الطريقة الشاذلية، وكان من كبار المتصوفة توفي مقتولا سنة (625هـ/1227م).- أنظر: التليدي، المرجع السابق، ص 90- 93.- انظر أيضا:

Bel (A) , L'islam mystique, typoligraphie jules, carbonel, alger, p,20- 21.

زغوان الرسالة القشيرية والإحياء الذي كان شديد التأثر بصاحبه أبي حامد الغزالي، وقد دعا تلامذته بأن يتوسلوا له إلى المولى عز وجل عند قضاء حوائجهم، وتمثلت تعاليم اتجاهه بخمسة أسس هي: تقوى الله في السر والعلانية، وأتباع السنة في الأقوال والأفعال والأعراض عن الخلف في السر والعلانية....، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء، وكان شديد التأثير بمذهب أبي مدين شعيب بما أنه تتلمذ على يد شيوخ أخذوا تصوفهم عنه، وكان يحرض عن لبس ما يظهر سلوكه الصوفي وتقيد تلامذته بذلك بعده وفي هذا الصدد قال: "ليست الطريقة بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة إنما هي بالصبر واليقين والهداية"[1].

كما أقرّ بقدرة العقل البشري على إدراك الحقائق الإلهية ومعانيها، إلى جانب بغضه الدنيا وكان يأمل من كل ذلك الوصول في الأخير إلى المحبوب وهو الله والاتصال به[2].

من تلامذته الذين أخذوا عنه نذكر أبا العباس المرسي (ت 685هـ/1287م) الذي أخذ على عاتقه رئاسة أتباع الشاذلي، فكان يلقن لطلبته في مجلسه الإحياء للغزالي وقوت القلوب لأبي طالب مكي[3]، كما تشبعت المتصوفة السيدة عائشة المنوبية (ت 655هـ/1266م) بأفكار الشاذلي بتونس، وأقدمت على الخلوة والاعتكاف للعبادة بجبل زغوان، وهناك من أخذ عن الشاذلي وتأثر به وهو بمصر كأبي إسحاق إبراهيم بن ميمون الزواوي وأبي عبد الله البجائي وأبي الحسن البجائي

[1]- المنوني، ورقات الآداب عن حضارة المرينيين ، ط2، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1416هـ/1996م، ص 434، - للمزيد انظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب الغربي(الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة)، ط1، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، حزيران (يونيو)، 1983م، ص 205.

[2]- المناوي: المصدر السابق، ج2، ص 470

[3]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 269.

وبقي سكان تونس إلى حد اليوم ينظرون بنظرة إجلال واحترام إلى مقام الشاذلي ومغارته والمكان الذي كان يلقي فيه دروسه[1].

- **أبو العباس السبتي وأتباعه:**

برز المتصوف أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي (524 – 601 هـ) (1129 – 1204م) بمذهبه القائم على الصدقة خلال النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م، وكان يحدث الناس على الصدقة وتذكيرهم بالآيات والأحاديث الواردة في حقها[2]، وعمد إلى الاعتكاف والانقطاع لعبادة الله بإحدى جبال مراكش، حيث توجد مغارات ورابطة فأقام بإحدى المغارات وحرص أبو العباس في كل ذلك على دعوة غيره للصدقة والإحسان[3]، ولم يلتزم بلبس الخرقة أو المرقعة التي اعتاد المتصوفة على لبسها، إذ كانت ثيابه حسنة[4]، وقام مذهبه على أساس أن "الوجود ينفعل بالوجود"[5]، وكان يرى أن أساس تواصل الحياة واستمراريتها مرتبط بالصدقة والإحسان، كما أنه دعا إلى ضرورة إيثار الغير على النفس حتى تضمن أن نحب لغيرنا ما نحبه لأنفسنا، فراح يربط كل ما يجري في الحياة بالصدقة، وقد بنى مذهبه الصوفي في الصدقة على

[1] - المنوني، المرجع السابق، ص 476.

[2] - أبو العباس المراكشي، الأعلام ممن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج1، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، سنة 1993 – 1998، ص 236.

[3] - زينب ملياني، المرجع السابق، ص 105.

[4] - السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 253.

[5] - أبو العباس المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 238.

أساس قوله تعالى: "**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**"[1]. ومنه أن علم معنى ما قاله عزّ وجل في هذه الآية من أن العدل والإحسان هما مشاكرة الغير في المال، عمل على التصدق بكل ما عنده[2].

واستخدم القرآن في دعم مذهبه هذا، وعمد إلى الدعوة لبذل الأموال للفقراء والمحتاجين فربط مبدأه في الصدقة والإحسان بالعبادة[3]، وقد كان له الأتباع والمؤيدون للأخذ عنه والاستفادة من مذهبه الصوفي القائم على الصدقة والإحسان، فكان يلقنهم ذلك بزاويته بمراكش التي حبسها عليه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، ومن تلامذته عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري (ت 559هـ/1163م) وعلي بن محمد هذيل (ت 564هـ/1168م) وأبي عمران موسى[4].

ويمكن ان نقسم التيار السني الفلسفي إلى اتجاهين اثنين:

الأول: اتجاه معتدل "السني المتفلسف الساذج" تبنى أفكار الغزإلى المبنية على مجاهدة النفس و الميل إلى العلوم الباطنية و الزهد في كل شيء .....وقد ظل هذا الاتجاه معارضا للسلطة معارضة سلمية الإصلاحية و لم يتبن العنف و الثورة، و تميز بارتكازه على قاعدة المذهب المالكي، ويأتي في طليعته ابن العريف الصنهاجي صاحب كتاب "محاسن المجالس"و أبو الحكم بن برجان، وفيما بعد تبني الاتجاه نفسه ابن حزرهم، وطريقة ابن العريف

[1]- سورة النحل، الآية 90.

[2]- زينب ملياني، المرجع السابق، ص 110.

[3]- بوتشيش، المصدر السابق، ص 157 – 158.

[4]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ، القسم 1، ص369- 370.

(481هـ/535هـ)الصوفية تنتهي إلى الجنيد كطريقة الغزإلى مع اختلاف في السند[1] فطريقته إذن سنية جنيدية تقوم على الزهد في كل شيء ما عدا الله، و تعتبر المقأمّات[2] مفيدة للسالك في أول طريق قصد الوصول إلى عين الحقيقة[3] و يميز ابن العريف بين:

-العالم و يتعلق بالأعمال.

-المريد و يتعلق بالأحوال .

-العارف و يتعلق بالأحوال.

وقد أثار ابن العريف إشكإلية أثارها الغزإلى في كتاب"العلم" من كتاب "إحياء علوم الدين" وهي وجود علم ظاهر.... وعلم باطن أو الحقيقة أو الدين في معناها السليم. وقال بان العلم الحقيقي هو من القائلين بوحدة الشهود و فيها إقرار بالوحدانية و الشهود و الفناء[4]،هذا إلى جانب انه من يصل إلى مقام الفناء في الله حينها لا إرادة له و لا رجاء و لا شوق، و رفض ابن العريف للمقأمّات و الأحوال[5] التي تحمل معاني مختلفة، فالعامة منها هي المقصودة بالرفض و هناك معاني خاصة بهم يعتمدون عليها فمثلا "الزهد العام و هو ترك الحرام و زهد الخاص هو ترك الفضول و زهد الأخص و هو ترك ما يشغله عن الله تعالى" و اكد انه في مذهبه اتبع الشرع كما

[1]- حسن جلاب، بحوث في التصوف المغربي، ط1، المطبعة و الوراقة الوطنية ،مراكش، 1416هـ/1995م، ص27.

[2]- المقامات هي العبادات و المجاهدات و الرياضات التي يقوم بها المريد من اجل الاتصال بالله و تتمثل في التوبة و الورع و الزهد و الفقر و الصبر و الرضا و التوكل، الطوسي، المصدر السابق، ص65

[3]- حسن جلاب، الدولة المرابطية "قضايا و ظواهر"، ط1، المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش، 1416هـ/1995هـ،ص259.

[4]- نفسه، ص 260.

[5]- الأحوال تمثل الحالة النفسية التي يعيشها المريد في أثناء تقدمه في المقامات السابقة و قد حصرها الطوسي عشرة أحوال، و هي المقاربة و القرب و المحبة و الخوف و الرجاء و الشوق و الطمأنينة و المشاهدة و اليقين.

دعا إلى ضرورة التزام المريد بحرفة لا تشغله عن المولى عز و جل[1]، و نجد ممن تتلمذ على يد ابن العريف ابا العباس احمد بن معد المعروف بابن الاقليشي (ت550هـ/1155م) و أبو عبد الله بن الصقيل المرسي هو الاخر درس عند ابن العريف إلى جانب الوهراني المعروف بابن قرقول (ت569هـ/1173م)[2] و أمّا ابن برجان "تلميذ ابن العريف" فقد كان الغزإلى المغرب،اشتهر بالتفسير بالإشارة وباتجاهه الصوفي السني، ويمثل تيارا يوازي بين أجنحة المريدين و يكبح جماح المتطرفين[3].على الرغم من الطابع السلمي لتيارهما السني، فإنهما أوذيا من طرف المرابطين فقد أرسلهما ابن اسود مقيدين إلى مراكش.

وأمّا الاتجاه الثاني من التيار السني الفلسفي "الاتجاه السني المتفلسف المتشدد": الذي تزعمه الثائران و المتطرفان محمد بن عبد الله بن هود الماسي بالمغرب وأبو القاسم احمد ابن الحسين بن القسي بالأندلس صاحب كتاب "خلع النعلين" [4] الذي عبر عن أفكاره الداعية إلى العنف و عصيان ولي الأمر، وهو من إتباع الطائفة التي تبنت التصوف المتفلسف، وأول أفكار الشيعية و التي كان فيها الأمّام الشيعي الفقيه و القائد الروحي و السياسي في أن واحد و قابلتها الولاية عند الصوفية والتي شملت فيما بعد الجانب الفقهي و السياسي و تطورت إلى دولة باطنية و أصبحت

[1]- ابن العريف أبو العباس، مفتاح السعادة و تحقيق طريق السعادة، ط1، دراسة و تحقيق عصمت عبد اللطيف دندش جمعة أبو بكر عتيق بن مؤمن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م. ص 220.

[2]- ابن الابار، التكملة....،ج1، ص151.-انظر: بوتشيش، المرجع السابق، ص 132.

[3]- بوتشيش، المغرب و الاندلس...، ص 168.

[4]- مصطفى بن سباغ، السلطة بين التسنن و التشيع و التصوف ما بين عصري المرابطين و الموحدين ،1، تقديم محمد بن عبود، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م، ص 97.

كل من الولاية و الإمّامة تعبران عن المعنى نفسه[1] ووظفوا أيضا فكرة علم الأمّام الشيعية التي الشيعة في التشريع إلى جانب الكتاب و السنة فألغو بذلك الإجماع و القياس اللذين اعتمدهما أهل السنة[2]، ونورد فيما يلي بعض عناصر هذا التيار:

1-أبو الحسن احمد بن القسي(ت 546ه) كأن بحصن اركش الواقع على نهر لكة من اعمال شريس، وقد ثار بهذا الحصن و نواحيه أخر الدولة المرابطية و سمي أصحابه بالمرابطين[3]، وقد ثلبه المؤرخين بأبشع الصفات من خلال كتاب "المعجب" ورد له الاعتبار ابن العربي في شرح كتابه "خلع النعلين" وذلك لالتقائهما في الفلسفة الاشراقية و حركته تستند على فكرة المهدوية[4] فقد أكدت بعض التراجم أنه لم يكن من أصل عربي إسلامي بل ينحدر من أصل مسيحي من مدينة شلب[5]، وذلك لمحاولة إعطاء ثورته أبعاد أخرى تزوغ كل الحلول التي من شأنها أن تقضي على ثورته، حيث ادعى ابن قسي بأن الله قد كلمه في المنام و أنه قد آمره بالاستيلاء على مدينة شلب و الثورة على المرابطين[6]، أمّا فيما يخص التقية فقد اعتمد عليها الشيعة للتستر خوفا على أنفسهم وهذا ما أشار إليه أمّامهم و وظفها المتصوفة حفاظا على حياتهم و تستروا وراءها خوفا من السلطة، و هذا ما حدث بالفعل مع ابن قسي الذي وراء قراءته لمؤلفات الغزإلى في الظاهر في

[1] ابن خلدون، العبر.... ج6، ص 232، 234.

[2] ابن الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفسنال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، اذار 1956م، ص 249.

[3] محمد مفتاح، نفس المرجع، ص 279.

[4] بوتشيش، المغرب و الاندلس، ص164.

[5] نفسه، ص169.

[6] مصطفى كامل الشيبي، الصلة بين التصوف و التشيع، ج1، ط2، دار الاندلس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،1982م، ص 409.

حين عمل على التحريض إلى الثورة على المرابطين في الباطن[1]، و قد بلغ ابن ابن قسي شأوا كبيرا في كل العلوم و نبغ في نظم الشعر و كانت له مراسلات مع ابن عريف بالمرية وعمد في بداية سلوكه طريق التصوف إلى التصدق بكل أمواله. وأشار في كتابه "خلع النعلين و اقتباس الأنوار من موضع القدمين" إلى أنه كشفت له الحقائق الإلهية فقال :"وفتح لي عن مغاليق الأبواب و بطائن الأسباب فرأيت حدائق الرحمة علما حقا و كشفا صدقا من غير حجاب"[2].

2-محمد بن عبد الله بن هود الماسي فما نعرفه عنه أن دعوته قد لقيت هي الأخرى أصداء بالمغرب إذ التف حوله عدد كبير من الإتباع، حيث بدأت دعوته من رباط ماسة و أصله من مدينة سلا و ذلك لإضفاء الشرعية على ما يدعيه[3].و يعتبر هو من وظف فكرة المهدوية اذ ادعى الهداية و سمى نفسه بالهادي، إذ زعم أن البشرى كانت تأتيه من المولى عز وجل و أنه يؤديه .

3-أبو عبد الله الشودي الذي جعلته قطب الدين القسطلأني من تلامذة الحلاج للشبه الموجود بين المذهبين، و ردها آخرون إلى مدرسة ابن مسرة[4].

ولأفكار ومبادئ هذا التيار، فقد استحق أن يقذف بوابل من الفتاوى و المواقف من لدن الفقهاء و العلماء و المفكرين .

[1] سحر السيد عبد العزيز السالم، تاريخ بطليوس الإسلامية او غرب الاندلس في العصر الإسلامي،ج2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 6 مايو 1991م، ص 171.

[2] ابن عذارى،البيان الموحدي...، ص 31.

[3] ابن خلدون، العبر...، ج6، ص 274.

[4] محمد مفتاح، نفس المرجع، ص 278.

المبحث الثالث: التيار الصوفي الفلسفي وأقطابه.

عمد أصحاب هذا التيار إلى الدمج بين أذواقهم الصوفية والعقل مع استخدام تعابير فلسفية فاطلع المتصوفة المتفلسفون على الفلسفات الأخرى كاليونانية وغيرها وكذا فلسفة المسلمين أمثال أبي نصر محمد الفرابي و ابن سينا.هذا فضلا عن إحاطتهم بالعلوم الشرعية كالفقه و الحديث التفسير، فكانوا بذلك أصحاب ثقافة متنوعة[1]، وظهور هذا التيار من التصوف يرجع تطلع المتصوفة إلى الله وحقائق الموجودات انطلاقا من اهتمامهم بالكشف[2].

وانفرد هذا التيار الفلسفي كسابقه بخصائص إذ عمد أصحابه إلى ممارسة المجاهدات والرياضات والعمل على كشف حجاب الحسن و الاطلاع على حقائق الوجود[3]، مما لا يدركه سواهم و تحصل لهم حينها المواهب الربانية[4]، لكشف حقائق الملك والولوج والعرش واختلفوا في أساليب قيامهم بالمجاهدات وكيفية تقوية نفوسهم بالذكر[5].

إلا أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل راحوا يتبنون عدة نظريات فلسفية[6]، طبعت مذاهبهم في التصوف وانعكس ذلك حتى على مؤلفاتهم وأشعاره فاستخدموا **الرمزية**[7] وبالغوا في استخدامها مما

---

[1]- النفنازاقي، المرجع السابق ،ص 86-87.

[2]- ابن خلدون، شفاء السائل...، ص 107.

[3]- ابن خلدون ، المقدمة ...، ص 382.

[4]- أشباح، المرجع السابق ،ص 207.

[5]- بونابي ،المرجع السابق،ص 143.

[6]- النفتازاقي ،المرجع السابق ،ص 192.

[7]- الرمزية : عبارة عن مصطلحات غامضة ذات الدلالة الصوفية من اجل أن تبقى متداولة بين من يفهمها منهم دون غيرهم.

انعكس على كلامهم إذ أصبح غير مفهوم عند غيرهم، هذا فضلا عن نظرية الاتصال التي جاء بها الفارابي[1].

وقد وجدت **نظرية الإشراق**[2] أذانا صاغية في البيئة الإسلامية فتبناها عـــدد من الفلاسفة المسلمين جـــاء في طليعتهم ابن سينا و ذلك خـــلال كتابه "**الإشارات التنبيهات**" الذي بلور اهتمامه بالتصوف[3].

يرى أصحاب هذه النظرية على أن المريد يتمكن من الوصول إلى معرفة حقيقة الوجود من النور الذي يقذف في قلبه من قبل المولى، ويتم له ذلك كله بعد مجاهدة النفس وتطهيرها واعتبروا الملا الأعلى من النور يتمكن من الوصول إليه بعد تطهير نفسه[4].

وانتشرت هذه النظرية بالغرب الإسلامي و مما ساعد على ذلك تلك المؤلفات التي ساهم أصحابها في تسهيل الطريق على المريد،و قد سبق و ذكرنا ذلك ككتاب ابن سينا[5] ومؤلفات شهاب الدين يحي بن حبش السهرودي[6].

---

[1]- نظرية الاتصال: رأى الفرابي فيها بأن الإنسان لا يمكنه أن يتصل بجبريل وهو العقل الفعال إلا بسلوكه مجاهدات و رياضات تضمن له صفاء نفسه فينتقل الإنسان تدريجيا إلى حالة ملائكية بعدما كان بشرا وفي هذه الحالة يصبح مؤهلا لتقبل المعارف التي لا يطلع عليها إلا الملائكة المقربون.

[2]- نظرية الإشراق: تقوم هذه النظرية على أساس أن الإنسان بعد تخلصه من سلطان القوى البدنية تتطهر نفسه فتشرق عليها الأنوار الإلهية،ويتم له في الأخير معرفة حقائق الوجود و أصبحت هذه النظرية مذهبا صوفيا.

[3]- مرفت عزت بالي، الاتجاه الاشراقي في فلسفة ابن سينا، ط1، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1414ه/1994م، ص 47.

[4]- فروخ عمر، التصوف في الإسلام. ص 130.

[5]- بونابي، المرجع السابق، ص 144.

[6]- هو شهاب الدين يحي السهرودي(1155ه/1191م)من أهم أعلام التصوف الإسلامي ولد قرب سهرورد.- انظر: شوقيلي جان، التصوف و المتصوفة ، ترجمة عبد القادر قتيني، افريقيا شرق المغرب، الدار البيضاء، ، بيروت، لبنان، 1999م، ص 54.

وممن نحا هذا المنحى المتصوف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النفري وقد عرف بمجاهداته الكثيرة فكان من أصير الناس على مجاهداته وداومهم على عمل وذكر و صلاة و صيام لا يفتر عن ذلك و لا ينام ولا يدخر شيئا لغد[1]، وقد تتلمذ له عدد كبير من الطلبة من بينهم أبو الحسن علي بن احمد الحرالي (ت 637هـ/1239م)[2]، الذي اجتهد في مجاهدة نفسه و داوم على ذلك مدة طويلة و اعتمد على الزهد سواء في باطنه أو في ظاهره[3] وقام إشراقه على كون إن النور الله هو أساس كل الموجودات وان العقل لا يكفي للوصول إلى مشاهدة الله.

بل على المريد القيام بمختلف المجاهدات حتى تتحقق له المشاهدة و يكون ذلك وفق مراحل يندرج فيها المريد حيث يزداد إشراق الأنوار الإلهية عليه وتصبح نفسه حينها عاكسة للإله تحصل له الغيبة التي تتم له من خلالها مشاهدة الله[4]، وكان طلبته يقرؤون عليه كتاب النجاة لابن سينا[5].

وقد تخرج على يده عدد كبير من الطلبة منهم عبد العزيز بن عمر[6] وأبا الفضل القرطبي وكان يدرس بزاويته التي أنشاها ببجاية و بمسجد النطاعين[7]، فضلا عن أبي الحسن بن علي بن عمران المليانى المعروف بابن أساطير و اقتصر على تدريس كتاب الإشارات و التنبيهات لتلامذته، وأبي

---

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق،ص 370.

[2]- محمد قريبز، الشعر الصوفي في الأندلس في المرابطين و الموحدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية1406هـ/1986م، ص126،

[3]- بدر الدين القرافي، توشيح الديباج و حلية الابتهاج، ط1، تحقيق احمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/1239م. 163-164.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص157.

[5]- القوافي، المصدر السابق، ص22،

[6] - المنوني، المصدر السابق، ص

[7] - الغبريني، المصدر السابق، ص 161.

محمد عبد الحق بن الربيع الأنصاري الذي نظم قصيدة من خمسمائة بيت أفصح فيها عن مراحل الولوج إلى مشاهدة الله كمرحلة الغيبي[1].

وممن أخذوا عن الحرالي نجد تقي الدين الموصلي الذي لقيه ببجاية، وكذلك أبا زكريا بن محجوبة القريشي السطيفي ،كما اخذ عنه أبو عبد الله التجيبي. [2]

ويتبين مما سبق إن تلامذة الحرالي أخذوا على عاتقهم نشر مذهبه الصوفي الاشراقي حتى في الوقت الذي كان فيه مقيما بالمشرق الأمر الذي ضمن تواصل انتشار مذهبه بالغرب الإسلامي. وخلال القرن السابع هجري /الثالث عشر ميلادي عرف التصوف الفلسفي ذروته [3]حيث عمد بعض المتصوفة إلى الاهتمام بعلوم المكاشفة و أصـــبحوا يسعون للكشف عن الروح و الملك و الوحي و العرش والكرسي[4]، وظهرت بذلك أراء ونظريات عكست مدى تأثرهم بالفلسفة ،فظهر مذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي بأكمل صورته[5].

حيث قام هذا المذهب على أساس أن الوجود حقيقته واحدة وهو صادر عن صفة الوحدانية و يسمون هذا بالتحلي، وإن الله أراد أن يظهر المخلوقات ليعرف نفسه، واستند أتباع هذا المذهب إلى

---

[1] - الغبريني، المصدر السابق، ص 85 .

[2] - ابن الابار، التكملة...،ج2، ص 579 .

[3] - غني قاسم، تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة عن الفارسية صادق نشات، راجعه احمد ناجي القيسي و محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص 689 .

[4]- ابن خلدون، شفاء السائل ...، ص 106-107.

[5]- التفتازاني، المرجع السابق، ص198

الحديث الذي كانوا يتداولونه وهو قولهم:"كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني "[1].

وكان رائده متصوف أندلسي شهير حمل لواء التصوف الفلسفي و بلغ معه شأوا كبيرا وهو محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي (638 هـ/1240م) [2] الذي كان يلازم قراءة الرسالة القشيرية حتى عرف بالقشيري[3]، و يعتبر امتدادا لمدرسة ابن مسرة بالأندلس فقد كان بعض أساتذته متشبعين بأفكار ابن مسرة[4]، فقد كان قد جمع مذهبه بين الفلسفة والتصوف معا[5].

و المحور الأساسي الذي قام عليه هو"**وحدة الوجود**" على أساس إن الوجود واحد في جوهره لكنه أكثر من ذلك في الظاهر و هذا ما تدركه حواس البشر و عقولهم[6]، و يعد ابن العربي أول من وضع مذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي ورأى أن الله سبحانه و تعالى خلق الخلق

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص383-384.

[2]- ابن عربي هو أبو عبد الله محمد بن علي الطاني الحاتمي من مرابعة ببجاية، مرسية يعرف بان سرافة و يلقلب بحي الدين ابن العربي سكن اشبيلية ودخل بجاية سنة 567هـ/1171م. له عدة مؤلفات اشتهر بها،- انظر: أبو العباس احمد بن احمد العبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 18 جانفي 1970م/11 ذي القعدة 1389، ص158.

[3]- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ص493.

[4]- احمد أمين، ظهر الإسلام، ج3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م، ص70.

[5]- إبراهيم غافة، الشيخ محي الدين بن عربي و تأثيره في العالم الإسلامي و العالم المسيحي، دار هومة للطباعة و النشر، بوزريعة، الجزائر، 2001م، ص27.

[6]- محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، ج1، تعليق أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 23 رمضان 1365هـ/20 أغسطس 1946م، ص23-24.

بما فيهم الإنسان ليرى نفسه ويعرفها فيهم فتتجلى له صفاته وأسماؤه فيهم و هذا لا يعني أن الله أظهر ذاته المطلقة بل كشف عنها بتقييد لان الموجودات الظاهرة المفيدة تزول والله لا يزول.[1]

و قد أشار إلى مذهبه في قوله "سبحان من خلق الأشياء وهو عينها"، وحتى يتمكن المريد من الوصول إلى الحقيقة عليه أن يقوم و بالرياضات و المجاهدات التي تعمل على تطهير نفسه[2].

أما في المغرب الإسلامي فنجده قد عمل عند نزوله ببجاية على تلقين مذهبه فأخذه عنه بعضهم[3]، بفاس حيث كان يجتمع حوله الطلبة للأخذ عنه [4]،و نجد احد المتصوفة قد نحا منحى ابن عربي في وحدة الوجود و هو أبو العيش بن أبي زيد عبد الرحيم الخزرجي الذي تأثر بأفكار الغزالي وعمل أثناء تواجده بتلمسان على الزهد في الدنيا والدعوة إلى ذلك[5].

أما القائلين **بالوحدة المطلقة** فهم يرون بان الوجود واحد وهو الله ووجوده المطلق كان وما زال وسيكون وأن باقي الكائنات وجودها عين وجوده عز وجل وهو سر كل الوجود وأن العقل البشري يتوهم كل ما يتخبط بهذا يتقاسم الإنسان قوتان قوة الحق و قوة الباطل، وهذه الأخيرة هي سبب حصول تلك الأوهام للعقل وبقيام الإنسان بالمجاهدات والرياضات يستطيع التغلب غلى هذه القوتان فيحصل له بذلك حلول الحق في ذاته.

---

[1]- التفتازاني، المرجع السابق، ص202،201.

[2]- بالنثيا انجل جنثالث، المرجع السابق، ص382.

[3]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ص235.

[4]- الغبريني ، المصدر السابق، ص 69-70.- للمزيد انظر: يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 103-104.

[5]- نفسه، ص 209.

ويتوصل في الأخير إلى حالة الكشف فتتكشف له أسرار الكون و تتجلى له كل معانيه[1]، وأهم من قال بهذا المذهب أبو عبد الله الشوذي الحلوي (ت :أوال القرن 7هـ/13م)، عرف أتباعه بالشوذية نسبة إليه وكان يبيع الحلوى للأطفال الذين ينقرون له فيشطح لذا عرف بالحلوي ويدور مرددا أشعارا مصرحا بها عن مذهبه في الوحدة المطلقة ثم كان ينصرف بعدها، بركوبه قصبة على هيئة الفرسان وهو في كل ذلك يعمل على التستر على مذهبه الصوفي وهو يرى أنه عندما يحل الله في البشر يكون بصرهم الذي يبصرون به وسمعهم الذي يسمعون به وحينها يحصل لهم الكشف فيدركون بذلك حقائق الكون وأسراره ،غير أنه هناك من المتصوفة من سبقه اعتمد على التستر بالبله كابي محمد عبد الحق أمسطوط أي المجنون وأبي عبد الله العربي (ت:611هـ/1214م) اللذان تستروا بالبله لإخفاء مذهبهم الصوفي إذ كانوا على سيرة الحلوي يركبون قصبة و يسبحون بها في الأرض[2] .

ومن أصحاب هذا المذهب أيضا نجد عبد الحق ابن إبراهيم ابن سبعين (ت669هـ-1270م) عرف أتباعه بالسبعينية منهم علي بن عبد الله النميري الشئتري و يحيى بن احمد بن سليمان وكان لابن سبعين اطلاع على الفلسفة إلى جانب أصول الدين إلا إن علم الفلسفة غلب على ثقافته

[1]- زينب ملياني، المرجع السابق، ص 112.

[2]- نفسه، ص 113.

العلمية. والمحور الأساسي الذي قام عليه ابن سبعين في الوحدة المطلقة يكمن في أن المطلق هو الله و باقي الموجودات هي روحية لا مادية[1].

[1]- زينب ملياني، المرجع السابق، ص 115-116.

الفصل الثالث: مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية عند المتصوفة.

المبحث الأول: الصراع المذهبي خلفياته وطبيعته.

- المتصوفة والحكم.
- المتصوفة والفقهاء.

المبحث الثاني: المتصوفة والمجتمع.

- **مسلك المتصوفة في الحياة اليومية.**
- الكرامة ومدلولها الاجتماعي.
- المتصوفة والتكافل الاجتماعي.

المبحث الثالث:انعكاسات المتصوفة على الحياة الثقافية والفكرية.

- دور المتصوفة في ظهور الزوايا.
- دور المتصوفة في التعليم.

المبحث الأول: الصراع المذهبي وخلفياته وطبيعته.

أ- المتصوفة والحكم.

- **موقف الود والتعايش:**

تميزت العلاقة بين أهل التصوف و السلطة المرابطية و الموحدية بأشكال من التوتر أحيانا و التنافر أحيانا أخرى. فإذا الممنا بحيثيات المصادر التاريخيـــة و تراجم بعض أمراء العصرين يمكن أن نلمس نوع العلاقة التي كانـــت بينهـــما و الظروف و الأحوال المحيطة بها.

لقد أشار المراكشي في كتابه البيان الموحدي إلى أن يوسف بن تاشفين و هو يمثل أعلى سلطة في الدولة المرابطية (كان إلى أن يعد في الزهاد المتبتلين اقرب منه إلى إن يعد في الملوك المتغلبين)[1]. كما أنّ هناك من نسبهم إلى تيار التصوف كابن عذارى مثلا وصف الأمير تاشفين بن علي بن يوسف بأنه (كان يسلك طريق ناموس الشريعة و يميل إلى طريقة المستقيمة و قراءة كتب المريدين) وهناك من الأمراء أيضا من كان يزور المتصوفة قصد التبرك بهم و كسبهم إلى صفه. و يجب الإشارة أيضا إلى محاولة المتصوفة استقطاب أمراء المرابطين إلى التيار الصوفي كما حدث مع أبي إسحاق باران المسوفي الذي يقول عنه ابن الزّيات: (كان من الزعماء) و أُلحق بأهل الفريق على يد احد المشايخ الصوفية.

[1]-ابن عذارى، البيان الموحدي، ص399.

أما فيما يخص السلطة الموحدية فلا يوجد ما يشير بوضوح إلى تشجيع السلطة الموحدية للتصوف بشكل مباشر، إلا أنها سعت إلى العمل على تجنب المواجهة مع التيار الصوفي و الاصطدام بزعمائه، بل العمل على استمالتهم إلى جانب الدعوة الموحدية أو على الأقل تحييدهم فلم يكن يخفى على السلطة الخطر الذي يمكن أن تشكله قوى التصوف على الجهاز الموحدي كبنية دينية و كتلة اجتماعية، فتقرب الخلفاء الموحدين من المتصوفة كان نابعا من قناعتهم بحقيقة اكتساح رجال التصوف للنسيج المجتمعي المغربي بنوعيه القروي والحضري و تصدرهم للقيادة الدينية في المجتمع المغربي[1].

ويبدو أن السلطة الموحدية كانت ترى في التيار الصوفي قوة قابلة للاستقطاب والاحتواء ولو فقط في أفق تزكية عملية الجهاد، أو لمساندتها في صراعها ضد تيار المالكية خصمهما المشترك.

لذا حاول الموحدون استقطاب التيار الصوفي بأنصاره و مريديه عن طريق ربط الحركة التومرتية بفكر الغزالي، و المزج بين الفكر الصوفي و المهدوية و طموح العامة[2]، و انعكس هذا التقارب بين الصوفية و السلطة على بني عبد المؤمن، حتى أن أبناء الخليفة يوسف بن

[1]- صالح يوسف بن قربة، "دور تيار التصوف و أثره في الحياة السياسية خلال القرن السادس في العهد المرابطي"، مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، اعمال ملتقى دولي في التاريخ 23-24 نيسان/ابريل 2001 منشورات مجلة الدراسات التاريخية و الفلسفية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، كلية العلوم الانسانية، ص98-99.- انظر:محمد العمراني، الموحدون في الاندلس الوجود العسكري و علاقته بالمجتمع، ص 431.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين "عصر الطوائف الثاني"،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م،ص451.

عبد المؤمن ظهر لديهم ميولات صوفية كابي محمد عبد الواحد و أبي عبد الله و أبي إبراهيم الذين اقترحوا على أبي العباس العزفي تأليف كتاب في مناقب أبي يعزى[1].

ومن ملامح ذالك التقارب و التلاؤم تمتع بعض المتصوفة بامتيازات التي تتمثل في إعفاءات من الخراج كابي حزر يخلف بن حزر الأوربي ت 572هـ/1175م،الذي كان سكان قريته يريدون تقاسم نسبة الخراج فيما بينهم، و كان يرفض هو ذلك. كما كان الخلفاء الموحدون يرسلون الظهائر من حين لأخر بإعفاء بعض المتصوفة من المغارم و الضرائب[2].

ومن كبار المتصوفة الذين جمعتهم علاقة مودة مع الخليفة المنصور أبو العباس القنجائري (ت627هـ/1230م) من شيوخ أبي محمد صالح الماجري، كانت له علاقة برجال التصوف كابي مدين و أبي النصر أيوب الفهري، كان شيخ الطائفة الصوفية بالمغرب[3]، و تُرجع المصادر اتصال المنصور به إلى ندمه على مقتل أخيه، و قد دلتهُ مُريدتُه على الشيخ أبي مدين، و لكنه توفي بتلمسان فأوصى بان يتصل بابي العباس[4]، و أصبحت له عند المنصور مكانة و كانت مراسلات بينه و بين المنصور و عن طريقه كان خلفاء الموحدين و أمرائهم يبعثون بالهبات إلى الحجاز، فكان يفرقها بمكة و المدينة و قد احدث أوقافا هناك[5]، فَتَوافُد كبار المتصوفة كان في الغالب بناءا على رغبة سلطانية و ليس اختيارا حرا من

[1]-الصدفي، المصدر السابق، ص 50.
[2]-ابن الزيات، المصدر السابق، ص 252.
[3]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 48.
[4]-تقي الدين الفارسي، المصدر السابق، ص 78.
[5]-ابن عذارى، المصدر السابق، ص 278.

المتصوفة لان مراكش لم تكن ببيئة مرغوبة من طرف كبار أهل الولاية و الصلاح، و لم يكن تحرك الصوفية بها بالأمر السهل، بالإضافة أن البادية كانت لديهم أفضل من المدينة الأكثر مدنية و لهوًا[1].

ولعل الجهاد أيضا كانت من أهم النقاط التي جمعت بين الطرفين (السلطة و المتصوفة) فانتصارات عبد المؤمن بالأندلس جذبت له احترام و تقدير و تأييد مختلف طبقات المجتمع حيث ذكر ابن أبي زرع:"إن المنصور لما اتجه إلى الأندلس للجهاد ضد الصليبيين في"الأرك" اصطحب معه "فقهاء المغرب و صلحائها"[2].

- **مواقف التوتر**

إن المصادر التي احتفظت لنا بالمواقف الايجابية للسلطة المرابطية و الموحدية إزاء متصوفة الغرب الإسلامي هي نفسها المصادر التي نقلت العدائية المتصلبة لهاتين السلطتين إزاء التصوف و بالأخص في العصر الأول.

إنّ البحث في هذه المصادر يأخذنا إلى سنة مهمة 504هـ/1109م، فهذه السنة عرفت حدثا مهما في المغرب و الأندلس على حد السواء، فهو يحمل دلالات قد تساعدنا على فهم كيف تطورت الأمور إلى أن أصبح التصوف يحمل السيف من اجل الوصول إلى السلطة. تظهر بوادر الخلاف بين الاتجاهين في هذه السنة، في قرار إحراق كتاب "أحياء علوم الدين"

[1]-بن عذارى، المصدر السابق ، ص 289.

[2]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص222.

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي[1]. و الاحتجاج على القرار بإحراق مؤلفاته من أمثال: ابن العريف و ابن برجان، وأبي بكر الميورقي الذين لا يستبعد أن يكونوا قد قتلوا بأمر من علي بن تاشفين بعد أشخاصهم إلى مراكش[2].

و كانت الحركة المرابطية العنيفة تلك تشحذها فتاوى فقهاء المالكية فأبو الحكم بن برجان 536هـ/1142م لما بعُد صيته في الزهادة و العبادة و كثر أتباعه على الطريقة نمى ذلل إلى علي بن يوسف بن تاشفين فاستدعي إلى مراكش للتحقيق معه، و كذالك حصل مع ابن العريف[3] ومن الصوفية الذين نفتهم السلطة المرابطية نذكر:أبي عبد الله الأصم [4] وأبي عبد الله الدقاق وجماعتهما بسجلماسة، مما أدى إلى نفيهم إلى فاس مدة من الزمن إلى أن تبين للسلطان تاشفين براءتهما فسرحهما[5] .

وقوبل تطرف أنصار المدرسة المسرية بالتكفير والاضطهاد من طرف الفقهاء و الحكام، و لم تكتفي السلطة بتتبعهم ومراقبتهم بل لجأت إلى منع بعض المتصوفة من التدريس[6] وذهبت إلى أكثر من ذلك زجت ببعضهم في السجون وتعريضهم للضرب والتعذيب ومثال

[1]- لقد احترق كتاب الإحياء سنة 503هـ بمدينة قرطبة بالأندلس، و نفذ بالمغرب أثناء حكم علي بن يوسف المرابطي الذي عمل بفتوى فقهاء قرطبة و على رأسهم القاضي ابن حمدين، فأمر بإحراق الكتاب بقرطبة، و كتب إلى جميع بلاده أمرا بإحراقه و صدرت نسخة من أصحابها لإحراقها.- انظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص 14.

[2]- ابن الزيات ، المصدر السابق، ص 120.

[3]- ابن باشكوال، الصلة...، ج1، ص 83.- للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 169.

[4]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 115.

[5]- نفسه، ص 255.

[6]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 301.

ذالك أبو السن علي بن حزرهم الذي تم سجنه في مدينة فاس[1] وأبو عبد الله الدقاق الذي سجن مع مجموعة من المريدين في فاس أيضا[2]، بالإضافة إلى الميورقي و محمد بن احمد بن وشون [3] ، ومحمد بن احمد نماره الحجري[4] و أبو عبد الله الشبوقي الذي تم إبعاده من الأندلس و اعتقل بمراكش[5] ومن غير المستبعد إن يكون هؤلاء السجناء قد تعرضوا أثناء فترة اعتقالهم لشتى أنواع التنكيل و التعذيب مما يبين أن الاعتقالات لم تكن فردية أو متعلقة بشخص بعينه، بقدر ما كانت موجهة ضد تيار اعتبر آنذاك من اخطر التيارات المناوئة للسلطة.

أما بالنسبة للموحدين فلم تكن هذه العلاقة في كل الأحوال ودية و حسنة، فقد عمد الخلفاء إلى استخدام سياسة التهديد معهم، و ذلك بحسب الظروف الداعية إلى ذلك كاعتقادات المتصوفة و كراماتهم و كثرة أتباعهم التي كانت في كثير من الأحيان سببا في توتر العلاقة بينهما لما تثيره من مخاوف للسلطة الموحدية.

لم تكن السياسة التي اتبعتها كل من السلطتين المرابطية و الموحدية تأتي بفائدة إذ أثبتت فشلها مع بعض تيارات التصوف كالتيار الباطني المتطرف، مما جعل الأمور تفلت من سيطرت السلطتين، وتنبأ ذلك على انفجار ثورتين صوفيتين تزعمهما أصحاب النزاعات

[1]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 172.

[2]- نفسه، ص 155.

[3]- علي الجزنائي، جني زهرة الأس في أخبار مدينة فاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص 97.

[4]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 181.

[5]- نفسه، ص 181.

الصوفية السياسية، و كانت أول ثورة في العصر المرابطي و عُرفت بثورة المريدين و التي لم يتم القضاء عليها إلا مع العصر الموحدي، لتنفجر في هذا العصر ثورة ثانية بزعامة ابن هود الماسي، و نتساءل هل تم التجاوب مع زعماء هاتين الثورتين؟ و كيف كان رد فعل السلطة؟.

1-ثورة المريدين على المرابطين بالأندلس:

اندلعت في غرب الأندلس سنة 539هـ/1114م و مباشرة بعد مقتل أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، و هي ثورة مسلحة تزعمها أبو القاسم القسي مع طائفة من المتصوفة، استهدفت القضاء على بقايا نفوذ المرابطين بالأندلس، و ظلت في صراع و حرب مستمرة معهم إلى إن انهارت دولتهم بالمغرب بسقوط مراكش في أيدي الموحدين، و تميزت هذه العلاقة بالتحالف و التنافر تارة، و بالاصطدام المسلح تارة أخرى، إلى أن تمكن الموحدون من فرض سيادتهم على المناطق التي قامت فيها الثورة.[1]

2-ثورة ابن هود الماسي على الموحدين بالمغرب:

اندلعت بالمغرب الأقصى سنة 541هـ/1145م و انطلقت من منطقة ماسة النائية، و يبدو أن زعيمها كان صوفيا و اختلف المؤرخون في سببها فمنهم من رأى أنها في إطار الصراع بين التيارين الموحدي و المالكي و هذا الأخير قاده القضاة[2] و قد نسبت إلى التأثر

[1]-ابن سباغ، المرجع السابق، ص 122.

[2]- لي تورنو روجي، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر، ترجمة أمين الطيب، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981،ص 63-64.

بمهدوية ابن تومرت، غير أن هناك من عمل على اعتبار دعوته مجرد شعوذة و ضلالة[1]. انتهت هذه المعركة بمقتل ابن هود الماسي[2]، الذي قُتل برباط ماسة[3]، بعد أن كلفت الدولة الموحدية الكثير.

2- علاقة المتصوفة بالفقهاء

إن تعدد التيارات الصوفية أدى إلى الاختلاف في مشاربها الفكرية و الفلسفية والى تنوع العلاقات بينهما و بين الفقهاء، ويمكن أن نحصر هذه العلاقة في نوعين أساسيين هما:

* العلاقة السلمية و هي التي تتمثل في علاقة الحركة الصوفية السنية بالفقهاء السلفية وكانت تتميز بالتعايش المتبادل بين الطرفين.

* الصراع الطويل بين الحركة الصوفية ذات التيارات الفلسفية و الفقهاء السلفية [4] فيمكننا أن نوضح ذلك في بعض العينات، الخاصة بالمذاهب الفقهية و خلفياتها الطبيعية، و قد برزت علاقة المعارضة السلمية التي أبداها متصوفة التيارات السنية ضد فقهاء الفروع في الدولتين المرابطية و الموحدية من خلال ترسيخهم للأصول و تزكيتها بالعودة إليها حيث بلغت هذه الصراعات درجتها الكبيرة، عندما انتقد أبي حامد الغزالي في كتابه"إحياء علوم الدين"، لوضع الفقهاء و مكانتهم المادية والأدبية و نعتهم بعلماء الدنيا[5]. فقد نهى عن

[1]-ابن خلدون :العبر...ج6 ،ص232 .

[2]-ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 190 .- للمزيد انظر:السلاوي،المصدر السابق،ج3 ، ص56 .

[3]- نفسه، ص 56.

[4]- الغبريني، المصدر السابق، ص 70.

[5]- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص83.

مخالطة السلاطين، و نقد استخدامهم لعلمهم كوسيلة لتسيير غيرهم حسب مصالحهم الخاصة، و يجب عليهم أن يعملوا على تغيير المجتمع إلى الأفضل بدل مساندة السلاطين و إصدار فتاوي تتماشى و مصالحهم الشخصية[1]، و خلص في الأخير إلى مصير هؤلاء الفقهاء فقال:"العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء و القضاة يحشرون في زمرة السلاطين"[2]. ولم يتوقف عند هذا بل راح يُنوه بمكانة علماء الآخرة عند الله، فرفع من شانهم ورأى أن مآلهم الفوز[3].

و مما سبق ذكره نفهم علاقة الفقهاء بالمتصوفة و سبب تحريض السلطة المرابطية عليهم، و التحريض من المباشر لحرق"إحياء"[4].

وخلال العصر الموحدي ورغم سياسة التفتح على مؤلفات الغزالي بما فيها الإحياء إلى انتهجتها السلطة، إلا أن عداء الفقهاء له لم ينته بنهاية الدولة المرابطية بل تواصل في العصر الموحدي، وهذا لما رأوه من إقبال الناس عليهم، فعملوا على تأليب السلطة عليهم و تمكنوا في كثير من الأحيان من ذلك.

و خلاصة القول عن علاقة المتصوفة بالفقهاء يمكن تلخيصها في نقطتين:

[1]- نفسه، ج2، ص 205.

[2]- نفسه، ج1، ص 87.

[3]-نفسه، ص 85.

[4]-ابن القطان، المصدر السابق، ص 14-15.

أولا: إن الفقهاء قد استعانوا بالسلطتين المرابطية و الموحدية للحد من انتشار أفكار التصوف باعتباره احد العوامل التي شكلت خطرا على مكانتهم في المجتمع، خاصة و إنهم باتوا محط تبجيل و تعظيم العامة و ترى فيهم حماة الإنسانية، الأمر الذي أثار حسدهم وزاد في حقدهم، فكانوا بذالك وراء أشخاص و سعى العديد منهم.

ثانيا: أن الفقهاء فشلوا في القضاء على انتشار أفكار الغزالي الذي أفتوا بحرق كتابه"إحياء" ضنا منهم أن ذلك يضمن لهم القضاء على انتشار ما جاء فيه من انتقادات موجهة إليهم، و ظهور المتصوفة المتأثرين بالغزالي بالغرب الإسلامي إلا دليل على ذلك حتى إن الناس مدحوا كتبه وراحوا ينظمون أشعارهم فيه.

المبحث الثاني: المتصوفة و المجتمع:

لقد تحلت فئة الصوفية بخصائص ومميزات عن باقي الفئات الاجتماعية الأخرى من حيث تقشفها في الزاد واللباس والمسكن وزهدها في حياة الدنيا، رغم وضعيتهم الاجتماعية البسيطة ابدوا اهتمامهم بمختلف الحرف دون عقدة، وهذا إلى جانب نشاطهم في التربية والتعليم، وهذا ما يجعلها أكثر حاجة إلى توضيح صورة متكاملة عن وضعية الصوفية الاجتماعية ونشاطها وأخلاقها داخل المجتمع الإسلامي.

1-مسلك المتصوفة في الحياة اليومية:

فقد كبحت الصوفية جماح النفوس إزاء مغريات الدنيا وزينتها من خلال المنهج النبوي حيث كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالصبر على المكاره وارتداء الخشن من الثياب[1]، وهذا ما احتفظت لنا به كتب التراجم والمناقب،حيث فصلت لنا تفصيلا دقيقا لمعيشتهم وأجمعت كلها على بساطتها وتواضعها.

وإضافة إلى الصبر على شهوات الدنيا، وبخصوص نمط معيشتهم فقد كان يقوم على الزهد في الدنيا، مقتصرين على القوت البسيط القليل من الشعير، وخبز الشعير بالماء، فاكتفى أبو يعزى بأوراق الدفلى المسلوقة دون ملح أو زيت[2]، وتميز متصوف أخر بأكل الخبز واللحم والعسل واللبن أما ابن العريق فكان أكله المفضل الباذنجان حتى أنه سّم فيه[3]، وكانت

[1]- بوتشيش ،المرجع السابق، ص131.

[2]- الصدفي، المرجع السابق، ص90.

[3]- ابن زيات، المصدر السابق،ص115. للمزيد من المعلومات أنظر:أبو العباس المرلكشي:المصدر السابق،ج 1،ص408.

المتصوفة "فاطمة بنت المثنى " قليلة الأكل واقتصرت على ما يطرحه الناس على أبوابهم من الأطعمة[1].

واعتمد المتصوفة على أكل ما يطاردونه من البحـر واكـل لحم السلاحف البرية والسمـك[2]، و حرص هؤلاء أن يكون طعامهم من مصدر حلال و واضبو أن يعملوا بأنفسهم على اكتسابه بعرق جبينـهم[3].

وكان البعض يواظب على الصيام، ويأكل القليل من الطعام رغم ما لديهم من الخيرات والثمرات، وكل هذه القرائن تعكس مقاومة الصوفية لشهوات البطن، وكبح جماح النفس وتعذيبها في الدنيا[4].

أما فيما يخص لباس المتصوفة فقد تميز عن سائر الألبسة ،حيث اختاروه على غيره من أنواع اللباس باعتباره رمزا للتقشف، وهجران الحياة الدنيا والزهد فيها، وهناك أسماء مختلفة للألبسة التي اختصوا بلبسها والتي كانت معظمها من الصوف الذي لبسه أبو عبد الله الأزكاني في وسطه على جبة من الصوف، وإلى جانب هذا لبس المتصوفة البرنس كأبي

[1]- يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض،ج2،المكتبة الثقافية بيروت،لبنان،1411ه/1991م ص 435.

[2]- الصدفي، المصدر السابق، ص62. للمزيد انظر:الغبريني، المصدر السابق، ص136.

[3]- ابن زيات، المصدر السابق، ص91.

[4]- نفسه، ص 96.

يعزى الذي لبس برنسا مرقعا من تليس[1]، وهو عبارة عن لباس خشن عبر عن الحزن[2]، عرف المتصوفة بلبس المرقعة والخرقة[3]، ومثل هذا اللباس إشارة الدخول في طريق التصوف وهي عبارة عن ثوب غليظ عرف الفقراء بلبسها إلى جانب المتصوفة اللذين لبسوها إبان عصر المرابطين والموحدين على يد أكبر مشايخ الصوفية وحسبنا في ذلك المتصوف أبو مدين شعيب الذي لبسها عن المتصوف المشرقي الشيخ عبد القادر الجيلاني كما لبسها أبو الحسن الشاذلي[4]، وهناك العديد من أنواع الألبسة الأخرى، نذكر منها الطلسان و دراعة من القطن، وتميزت المرأة بلباس خاص كأمية بنت يغمروسن التي ارتدت جبة صوف[5].

وهناك من الصوفية من لم يتقيد بلباس الصوف، والأرجح إلى العقل والموضوعية التاريخية أنه إذا كان لبس بذلة الصوف كافية لانتماء إلى أهل التصوف، لأصبح جل الناس صوفية وفيه يمكن أن نستنتج أن التوصل إلى كشف الحقائق الإلهية لا يتم بلبس الصوف وإنّما بالزهد والعلم والتوكل واليقين، وما يمكن استخلاصه مما ذكر أن السواد الأعظم من صوفية المغرب الإسلامي على اختلاف تياراتهم ظلوا يرتدون جبة الصوف، وهكذا ظل لباس الصوف المتواضع رمزا للاندماج الفرد في فلك الصوفية.

---

[1]- نفسه، ص172-197. للمزيد أنظر:ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 172.- للمزيد أنظر أيضا:أبو العباس المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص408.

- التليس:هو لباس من وطاء الخشن يستعمل لصناعة الأكياس من الصوف أو من الكتان لحمل الغلال. أنظر:

-BOZY,(R) ,suplémentaux dictionnaires arabes , librairie du liban,beyrouth,1991,T1 ,p.150.

[2]- طه، الحياة الاجتماعية ، ص253.

[3]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص78-84.

[4]- ابن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص 266.

[5]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 90.

تميزت مساكن المتصوفة خلال هذه الفترة بالتواضع رغم التقشف الذي عرف به إلا أننا نجدهم قد امتلكوا بيوتا سكنوا فيها، فقد تميزوا بنوع معين، حيث أغلبهم كانوا يقيمون في الجبال والأماكن الخالية، والأماكن البعيدة عن المدينة وإغراءاتها حتى تكون عاملا مساعدا لهم على مزاولة حياة الزهد والاعتكاف والانقطاع للعبادة[1]، كما اشتهروا كذلك بالسكن بالقرب من المساجد والبقاء المطول به، و هذه الميزة وجدت لدى العديد منهم[2].

كما ذكرت بعض المصادر أنهم كانوا يقيمون داخل مدن المغرب الإسلامي كالقيروان، وتاهرت وفاس... فضلا عن إقامة بعضهم في الربط، كرباط أسفي الذي أقام به أبي محمد صالح ورباط روطة ورباط والمستتير الذي عكف فيه أحد تلاميذه أبي مدين[3].

وعن الحياة الأسرية للمتصوفة، فإنهم كانوا مندمجين في الحياة الاجتماعية بصورة عادية لهم بيوت وأزواج وأبناء، ويقومون بواجباتهم و إلتزماتهم إزاء أسرهم، و أنجبوا أولادا صالحين حتى صار فيهم القاضي والفقيه. كما وجدنا في الكتب العديد من التراجم أسماء عديدة لمتصوفة تزوجوا ورزقوا بأولاد[4]، فابن العربي مثلا تزوج بالسيدة مريم التي كان يمتدحها لسمو فكرها وروحها[5] حتى النساء المتصوفات تزوجن كأم سلامة العجوز التي كان لها ولد اسمه محمد[6].

[1]- أبو العباس المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص229.

[2]- الصدفي، المصدر السابق، ص63. للمزيد أنظر :ابن الأبار، التكملة...، ج2، ص687.

[3]- ابن زيات، المصدر السابق، ص298- 313.

[4]- الصدفي، المصدر نفسه، ص78. للمزيد أنظر :ابن عبد الملك، المصدر السابق، القسم1، ص305.

[5]- شويقلي، المرجع السابق، ص95.

[6]- ابن الزيات، المصدر نفسه، ص397.

والحقيقة أن هناك من متصوفة هذه الفترة من كانت نظرته اتجاه المرأة بصفة خاصة والزواج بصفة عامة إذ اعتبروا":النساء أضر شيء على الرجل فإنهن فاتنات وصبائل الشيطان فالسلامة في الابتعاد عنهن على كل الأحوال، ولهذا نجد منهم من لم يتزوج وحتى الذين تزوجوا وكونوا أسرة تركوها لمجرد دخولهم حقل المتصوفة، فضلا عن الآخرين كانوا يهجرون أسرهم[1].

لقد فضل متصوفة الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين الموت يوم الجمعة وكانوا يتمنون ويدعون المولى عّز وجل بتحقيق ذلك ،فأبو عبد الله محمد بن الحسن البصلتي (ت:595هـ - 1198م) "دعا ربه الموت يوم الجمعة بعد صلاة الصبح"[2]. وفعلا من خلال تراجم العديد من المتصوفة تبين لنا معظمهم كانت وفاته إما يوم الجمعة أو ليلتها[3]، كما أن وفاتهم كانت في أغلب الأحيان في شهر رمضان[4].

وكان المتصوفة يتنبئون بدنو وقت وفاتهم[5]، وحرصوا إبان هذه الفترة على ترك وصايا قبل وفاتهم تخص جنائزهم وقبورهم، إذ أوصى أبو الحسن علي بن محمد الزواوي أولاده حين بكوا عليه بقوله:" لا عليكم مهما أصابكم أمر أو عارض فأتوا إلى قبري واذكروا شكواكم

[1]- إبراهيم القادري، الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995م، ص132.
[2]- التليدي ، المرجع السابق، ص57.
[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص 215- 216.
[4]- إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص140.
[5]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص346.

واسألوا الله يفرج عليكم"[1]. وقام متصوف أخر بتطهير ملابسه الرثة بماء زمزم وأمر أن يكفن فيها[2]، والظاهرة التي ميزتهم قبل الوفاة هي الاغتسال والوضوء والصلاة وهذا يدل على مدى حرص المتصوفة إبان هذه الفترة على الطهارة والتقرب من المولى عزّ وجل، وفيما يخص قبورهم فقد حرص بعضهم على حفرها قبل وفاته بنفسه أو بتوصية أحد من أهله أو أصحابه على حفرها ،وحملت الأماكن التي دفنوا فيها كثير من الأحيان أسمائهم[3].

2- الكرامة و مدلولها الاجتماعي:

ظل المهتمون من الباحثين والمؤرخين، في تاريخ التصوف للمغرب الإسلامي يهملون ميزة الكرامات ولا يُعيرون الكرامات أي اعتبار، وفي منظورهم أنها مجرد ظاهرة سلوكية مرتبطة بقوى غيبية ومشاهدات سحرية وخرافية. والحقيقة أن صفة الكرامة ليست موضوعا جديدا للبحث ،فقد تعرض إليها الأقدمون من السلف الصالح وأفتوا بصحتها واعتبروا إنكارها وتكذيبها بدعة[4].

حيث لعبت كرامات المتصوفة دورا فعالا في المجتمع إبان عصر المرابطين والموحدين إذ مثلت موقف هذه الشريحة من معاناته، وكانت بمثابة وسيلة سلمية أستخدمها هؤلاء المتصوفة للتعبير عن رفضهم لتلك الظروف والمشاكل التي يحتفظ فيها، فعبرت عن أمالهم في إيجاد حلول لها ونظرا لعدم قدرة هذه الشريحة على التعبير عن رفضها بشكل

[1]- ابن آبي زرع، المصدر السابق، ص173. للمزيد انظر :المقري، نفح الطيب، ج2، ص162.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص136. للمزيد انظر: ابن عبد الملك، المصدر نفسه، ص70.

[3]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص104 – 108.

[4]- إبراهيم القادري، المرجع السابق، ص134.

مباشر وعلني قامت بتوظيف رموز كراماتها المختلفة كوسيلة تعبر عن رؤيتها للواقع المعاش وعن الحلول التي تسعى لتحقيقها، فأثبتت تلك الكرامات مواقف المتصوفة إزاء العديد من القضايا "فلم تكن مجرد قصص خرافية بل بنية أساسية في الفكر البشري وهي مرتبطة بنمط مجتمعي وبأسلوب معيشي في الوجود"[1]. وقد عبر عنها بأنها كل بعد خارق للعادة ظهر على يد عبد ظاهر الصلاح في دينه متمسك بطاعة الله في أحواله. وهي "تظهر على العبد تخصيصا له وتفضيلا، وقد تحصُل باختياره في بعض الأوقات "[2]. وهناك من اعتبرها جزءا مكملا لمعجزات الرسل عليهم السلام[3]. أما الونشريسي فرأى بأن الله اختص بها الصالحين من عباده[4].

وتكون هذه الكرامات بشكل إجابة دعاء أو خرق كل قانون طبيعي كتوفير ماء في أوقات الجفاف وغيرها[5]، وهذا ما أطلق عليه ابن عربي اسم الكرامات الظاهرة أو المادية التي تشاهد[6].

لقد حمل المتصوفة على عاتقهم مسؤولية إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها للمجتمع، فقد عملت على محاربة ظاهرة التفسخ والانحلال الأخلاقي

---

[1]- وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية: مصطلح الكرامة، أنها مقبولة من حيث المبدأ وقد سلم بها أهل السنة، وكذلك الفلاسفة مثل ابن سينا في بعض الإشارات وأنكرها المعتزلة. -أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج9، دار المعرفة، بيروت،1964م ص1446.

[2]- بوتشيش،المرجع السابق،ص141.

[3]- القشيري،المصدر السابق،ص403.

[4]- الونشرسي، المصدر السابق،ج1، ص209.

[5]- ابن مريم، المصدر السابق، ص110.

[6]- بوتشيش، المرجع نفسه، ص141.

فعبّروا عن رفضهم لمـــا يجري من خلال رموزهم واستخدموا المكاشفات أو ما يعرف بالرؤية بالقلب، فكان أبا يعزى مثلا يكشف أفعال الناس من خلال بروز العضو المسؤول على ذلك الفعل مخططا بالأسود[1]، وكانت له عدة كرامات أخرى.

كما ركزت الكرامة أيضا على مبدأ الصدقة والإحسان وأضحت خطابا موجها للأغنياء لكي يتصدقوا على الفقراء وقد أصبح هذا المبدأ فلسفة اعتمدها عدد كبير من متصوفة الغرب الإسلامي وأشهرهم أبو العباس السبتي[2]، ومن هنا فقد كانت الكرامات تعكس تسخير المتصوفة لخير الله الذي لا يفنى في تلبية احتياجات الفقراء والمساكين.

وعلى الصعيد السياسي، سعوا بكراماتهم إلى إنشاء مجتمع خال من الظلم الاضطهاد فأصبحت تشكل فيما بعد الوسيلة الفعالة للدفاع عن المحرومين من ظلم السلطة، واستبدادها عن طريق الأدعية بالشر وتسليط قوي غيبية على المظالم.

ونكتشف أيضا تعاطفا واضحا للمتصوفة مع العامة ضد القوي الجائر إذ كثيرا ما تهرع العامة إليهم طلبا للنجدة والخروج من ضائقة أو كارثة، على أن القوة الوحيدة في المجتمع هي قوتهم وليست قوة الحكام المتصارعين على السلطة، وهذا ما أكده الغبريني في كتابه"عنوان الدراية" حيث قال :" قوة المعارف معروفة وقوة الغير فمعتاده مأمونة"[3]،كما أكدت لنا بعض الروايات الكرامية الأخرى أنها لعبت دورا في طمأنت الخائفين من بطش الحكام، ومما نقل

[1]- أثين بلاثيوس، ابن العربي حياته ومذهبه، تر:عبد الرحمان بدوي، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة،1965م، ص194.

[2]- ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولاي أي الحسن، تحقيق مريا خيسوس بيغيرا، تحقيق محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1481هـ-1981م، ص420.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص160.

عن عبد الله الأصم وهو مسجون مكبلا أنه كلما حان وقت الصلاة يتنحى عنه الكبل فيخرج من سجنه ليؤم الناس في الصلاة دون أن يكشف أمره[1]. وأبو يعزى هو الأخر سجن مع الوحوش والسباع الجائعة من قبل أحد العمال، إلا أنه تم إطلاق سراحه لما رآه العامل من كراماته[2].

ومن مجمل القول فإن ارتباط الكرامة الصوفية، بالشرائح الدنيا في المجتمع تعكس جليا الواقع الاجتماعي لهذه الشريحة ومنزلتها بين الطبقات الأخرى من حيث المكانة، وعلاقتها بالسلطة حيث أن هذا الفكر فرض نفسه بقوة داخل المجتمع المرابطي والموحدي، وهذا نظرا إلى امتلاكه مرجعية قوية، أساسها الارتباط الديني لكن التساؤلات تفرض نفسها في هذا الواقع، من بينها:هل نجحت الكرامية في تغير أوضاع المجتمع؟وهل وصلت إلى تحقيق أهدافها في تشكيل مجتمع القيم؟ وإلى أي مدى استطاعت علميا أن تجبر السلطة على تغير سياستها إزاء هذه الشريعة؟.

من المتفق عليه أنه كان للمتصوفة وكراماتهم دور لا يستهان به في مساعدة الشرائح الاجتماعية المختلفة إلى أنهم لم يتمكنوا من إقامة المجتمع الذي نشدوه ، ويرجع السبب في نظرهم إلى المال الذي رأوا فيه سبب ما تعرض له الغرب الإسلامي من أزمات[3]، لذا صبوا

[1]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص134.

[2]- نفسه، ص137.

[3]- بوتشيش، المصدر السابق، ص147.

عليه كل سخطهم وراحوا يصفونه بأقبح الصفات[1]، ويرجع الفشل كذلك لكون الحلول التي طرحتها كراماتهم كانت مجرد حبر على ورق، إذ أن عدم تطبيق الحلول التي جاءوا به يعود لكونها هدأت من الأوضاع أكثر مما عالجتها.

وبالتالي فإن السبيل الحقيقي لنجاح الفكر الكرامي هو تخفيف الأزمة نفسيا على المجتمع أمّا الهدف السامي لتحقيق مجتمع جديد خال من التفكير الدنيوي فلم تصل المتصوفة إلى تحقيقه الأمر الذي جعل أصحابها يتوجهون نحو تهيئة الأذهان والنفوس إلى الحياة الآخرة[2].

3- المتصوفة و التكافل الاجتماعي:

إنّ المتتبع لظاهرة التكافل الاجتماعي عند الصوفية في الغرب الإسلامي يرى أن العامة تعتمد اعتمادا كليا على أهل التصوف، فقد برز تكافل المتصوفة أكثر خلال الأزمات التي تعرض لها إبان عصري المرابطين و الموحدين و هذا لمواجهة الأزمات الاجتماعية و الاقتصادية، و نظرا لعجز السلطة عن إيجاد حلول لهم و متنفس لمشاكلهم لجأ أفراد المجتمع لمساعدتهم في تدبير أمور حياتهم أو لدفع الخطر الذي يداهمهم، و يبرز دورهم خاصة في الأزمات كأوقات القحط و الجفاف و المجاعات التي دفعت الناس للاستنجاد بهم وبكراماتهم، و يلاحظ لدى العامة الاهتمام المتزايد و الاحترام المبجل الذي يقدمونه رجال الصوفية عند

[1]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص:89-234.

[2]- جاء في رواية:أنَّ صوفيا عَثَر و دمت إصبعه في احد الأحياء بالمغرب فقال:"الله ما وهبت لي من اجر قد وهبته لجماعة الموتى،فغفر الله لجميع من هذه الناحية".-انظر: الغبريني، المصدر السابق،ص 81.

حلول كارثة طبيعية كالجفاف حيث يطلبون من الصوفي القيام ليصلي بهم صلاة الاستسقاء[1] و حسبنا في ذلك وجاج بن زلو اللمطي، حيث كان أهل نفيس يقصدونه أيام القحط و الجفاف للاستسقاء كما استسقى أهل تلمسان بابي زكريا بن يوغان الصنهاجي فأمطرت عليهم السماء بعد ذلك[2].

و كذلك أهل المغرب لما أصابتهم مجاعة في أواخر القرن 6هـ/12م و امتلأت شوارعهم بالمعوزين و الفقراء و المحتاجين، و قد تفطن أهل الصوفية إلى التكفل بهم في جمع المعونات من أغنياء المدينة[3]، و حتى يخففوا من معاناة الفقراء، فأثناء المجاعة التي اجتاحت مراكش جمع احد المتصوفة المساكين و الفقراء بجامع على بن يوسف و اخرج لهم القمح و السمن الذي كان عنده و قام بتوزيعه عليهم و لم يبق لهم شيئاً لنفسه[4]، و باع المتصوف أبو عبد الله المهدوي (595هـ/1198م) أثناء المجاعة التي أصابت فاس كل القمح الذي كان عنده للناس و لم يقبض ثمنه[5]، و هذا يعني أن الصوفية اعتمدوا في كل هذا على أسلوب الصدقة كطريقة للتخفيف من حدة الكارثة، ضف إلى ذلك محاربتهم للرذيلة و الزنا و شرب الخمر و اعتمدوا على نشر المبادئ الإنسانية بين و عالجوا ما كانوا يرونه من انحرافات في المجتمع فحاربوا الخيانة الزوجية الدعارة، إذ أقدم أهل تلمسان على عبد السلام

[1]-ابن الزيات، المصدر السابق، ص 88.

[2]- نفسه، ص 67-81.

[3]- يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تقديم و تحقيق و تعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص 105.

[4]- ابن الزيات، المصدر السابق،104.

[5]- نفسه، ص333.

التونسي و اشتكوا إليه رجلا من أهل الدعارة كان يؤذيهم فعاقبه حتى تاب إلى الله، كما أنّ أبي يعزى هو الآخر حارب الخيانة الزوجية بفضحه لرجل زنى مع زوجة أخيه الغائب[1]، فارتد إليه مكفرا عن ما ارتكبه من ذنوب كما أن المتصوفة كانوا دائما يسعون إلى تحسين أخلاق المرأة بعد أن تفطنوا أنها أساس المجتمع يفسد بفسادها و يستقيم باستقامتها، لذا سعى بعض المتصوفة إلى تجهيز بنات الفقراء حتى يضمنوا عدم و قوعهن في الفاحشة[2].

و الملاحظ أن المتصوفة ساهموا بدرجة كبيرة في إعانة المتسولين من الرجال و النساء بالتصدق عليهم، و الجدير بالذكر هو أهل الأندلس كانوا ينكرون عدة التسول هذه، ويقدمون على إهانة من يتسول لأنها عادة مستقبحة عندهم[3]، اتخذوا طريقة أخرى للتسول على عكس ما كان بالمغرب، إذ عمدوا إلى التحول في الطرقات مع إنشاء بعض الأغاني الشعبية و الأزجال، و استهدفوا من وراء ذلك الحصول على قُوتهم باستعطافهم الناس[4].

[1]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 89-90.

[2]- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 102.

[3]- المقري، نفخ الطيب...،ج1، ص 220.

[4]- بوتشيش" ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري"، مجلة التغيرات... ، المرجع السابق، ص 179.

المبحث الثالث: انعكاسات المتصوفة على الحياة الثقافية والفكرية.

1- دور الصوفية في إقامة الزوايا:

الزاوية[1] كانت في الأصل رباط تحول مع مرور الزمن لزاوية، وقد اكتظت تبلك الرباطات بالنخبة من أبناء المسلمين وأصبحت ابتداء من القرن الرابع هجري تعرف تحولا كبيرا ،فلم تعد مهمتها تقتصر على العبادة والجهاد كما كانت فيما مضى بل أصبحت مؤسسة تعليمية يقصدها العلماء بالتدريس بها وتأليف الكتب والرسائل القيمة في مختلف العلوم والمعارف أي منبع ومنهل فكري وديني قائم بذاته إذ كانت من مراكز التعليم التي اعتمد عليها المنشر المتصوفة و الزهاد لنشر التعليم .

حيث أكدت بعض المصادر التاريخية أن الربط في المغرب الإسلامي استمرت في نشاطها إلى نهاية النصف الأول من القرن السابع هجري،حيث تركت وظائفها ونشاطها الزاوية التي أضافت إلى رصيدها جملة من الوظائف والنشاطات وبالتالي يمكننا القول أن الزاوية بالغرب الإسلامي هي الرابطة في بداية نشأتها وتطورها[2]، ويزكى هذا القول جملة من الرابطات التي كانت تقوم بنفس وظيفة الزاوية أبرزها رابطة عبد السلام التونسي في تلمسان

[1]- يطلق اسم زاوية على مؤوى المتصوفين والفقراء والمسجد الغير جامع ليس فيه منبر كما جاء في معجم الوسيط، وهي مؤسسة دينية إسلامية ذات طابع اجتماعي روحي وهي تختلف حسب وظائفها ونشطتها ، أما اصطلاحا فهي تعتبر معهد للعبادة وإيواء المجاهدين وطلبة العلم والمحتاجين وتزويدهم بما يلزمهم وما يحتاجونه ، أما في الاصطلاح الصوفي فهي مركز خاص بسادة الصوفية للاستعداد للجهاد ومحاربة الكفار وأعداء الإسلام.-أنظر: المهدي البوعبدلي" الرباط والفداء في وهران والقبائل"، مجلة الأصالة، العدد 133،1393هـ أفريل 1973، ص26.

[2]- العبد مسعود" المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني" ، مجلة سرتا، معهد العلوم الاجتماعية،جامعة قسنطينة، العدد 10،1480هـ-1988م، ص5.

التي كانت تقوم بوظيفتين أساسيتين هما الانقطاع للتعبد والاجتماع مع الطلبة[1]، ورابطة أبي إسحاق التي كانت مكانا لأداء العبادة والتعليم في أن واحد ،وكان المريدون من أتباع أبي مدين شعيب يجتمعون برابطة ابن الزيات يؤدون فيها رياضاتهم وأورادهم اليومية هذا إلى جانب رابطة زرهون[2].

وبعد انقضاء الجهاد تحول بعض تلك الرباطات إلى زوايا وغادرها حينئذ بعض المتصوفة لإنشاء مراكز شبيهة بها قصد نشر التعليم والمعرفة ومحاربة الجهل وإيواء المرابطين المتفرغين للعبادة ولتكون مبعثا لأنوار الشريعة[3]، كما كانت ملجأ لمسافرين وعابري السبيل لراحة فيها[4]، ورغم صغر حجمها إلا أنها نجحت في نشر التصوف وسائر العلوم العقلية و النقلية ،ورغم أنها لم تدعم سياسيا أو ماديا إلى غاية القرن السادس هجري وبهذا أخذ مصطلح الرابطة يختفي وحل محله مصطلح الزاوية التي انتشرت إلى حدود القرن السابع هجري الموافق لثالث عشر ميلادي.

حيث تعتبر مؤسسة دينية وعلمية و اجتماعية تبلورت أنشطتها ووظائفها وتجدرت داخل الأمة الإسلامية بصفة عامة وداخل المجتمع المغربي بصفة خاصة، مما جعلها تساهم في مختلف اهتماماته المادية والمعنوية ولاشك أن من أهم تلك المهام وأنبلها ما قامت به زوايا المغرب الإسلامي من تدعيم وترسيخ الثقافة الإسلامية الصحيحة، ونشرها سواء تعلق الأمر

---

[1]- ابن زيات ، المصدر السابق، ص88.

[2]- نفسه، ص89.

[3]- عباس إبراهيم المراكشي، الأعلام فيمن حل مراكش وأغمات ،ج1، المطبعة الجديدة ، فاس،1937م، ص367.

[4]- محمد بن مرزوق، المرجع السابق، ص314 .

بالعقيدة أو بالفقه وأصوله، أو بالتربية الصوفية ذلك أنها في تلك المهام ظلت تستمد أصولها ومنابعها من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح، ويرجع ظهور الزاوية بدورها الاحساني إلى عصر الموحدين إذ عمد أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي (ت:580هـ-1184م) إلى تأسيس زاوية بمراكش عرفت باسم "دار الكرامة" مهمتها إطعام المساكين والفقراء[1]، و لانعدم من القرائن ما يشير إلى دور المتصوفة في إنشاء الزوايا بالغرب الإسلامي التي ظهرت بحجمها الصغير في بداية الأمر .

وحسبنا في ذلك زاوية المتصوف أبي زكرياء يحي الزواوي (ت:611هـ-1214م) التي كانت ملحقة بمسجد أبو النور المشترائي[2] هو الأخر أنشأ زاوية مع تلميذه أبي شعيب أيوب بن سعيد بأزمور ،هذا إلى جانب زاوية المتصوف صالح بن حزرهم التي كانت بمدينة فاس ،واعتبرت من أتي أول الزوايا التي أقيمت داخل المدن[3]. قد شجع الموحدون قيام هذه المؤسسات[4]، وقد لعب أبو الحسن الشاذلي(ت:656هـ-1258م) دورا مهم في إبراز الزاوية بالغرب الإسلامي من خلال زاويته التي أسسها ،ولقد نسبت إليه عدة زوايا يرجع الفضل في تأسيسها إلى مريديه وأتباعه الذين انتشروا في العديد من الدول العربية[5].

---

[1]- أحمد البوزيدي، مؤسسة الزوايا بوداي درعة ق 10و11هـ /16م-17م بين الإشعاع العلمي والإنتشار الصوفي ، مجلة الأمل، العدد 20- 19 مزدوج السنة السابعة ، منشورات أمل ، 2000م ، ص 39.

[2]- الغبريني ، المصدر السابق، ص137،138.

[3]- بن عبد الله ،المرجع السابق، ص146.

[4]- محمد صالح الجوة، أثر الأندلسيين في الأدب المغربي على عهد الموحدين ، رسالة دكتوراه ، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر،1407هـ-1989م، ص195.

[5]- طه الولي، المساجد في الإسلام ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، محرم1409هـ- أب 1988م، ص 100.

ومن هنا يتضح أن الزاوية عبارة عن تضيع للوقت علمية تعمل على جلب الناس بالأوراد والذكر،ولم يقتصر عمل الزاوية على التربية الإسلامية الصوفية والحفاظ على المقومات الروحية لأتباعها بل سارعت إلى الخروج من نطاق مؤسسة الزاوية المحدودة إلى المجال الاجتماعي الواسع.

2- الصوفية و دورها في التعليم:

عمد المتصوفة إلى نشر العلم وذلك لما اشتهروا به من حبهم له و تقديرهم لأصحابه، باعتبار التعليم ضروريا و حتميا لتطوير الحركة الفكرية و العلمية لدى أي مجتمع كان وعنصرا رئيسيا في تنظيم و ترقية الأفراد من الناحية السلوكية و الحضارية[1] و يعتبر أيضا احد الميادين التي تجلى فيها النشاط الحيوي للصوفية، و يعود اهتمام المتصوفة بالتعليم إلى عدة عوامل أهمها: -تسابق الأولياء في توجيه أبنائهم لتعلم الفقه، قصد الوصول إلى المناصب العليا عند الحكام، كالقضاء و الحسبة.

-اقتصار التعليم على الفئات الاجتماعية التي بإمكاننا الإنفاق على أبنائها، لان الدولة أصبحت تتكفل بها بعد بإشراف القاضي على تعليم اليتامى و مراقبة المحتسب للمعاملة التي يوليها المعلمون للصبيان[2].

-اختلاف توجهات الحكام في دولهم حول نمط التعليم فمثلا فرض الموحدين نموذجا من التعليم ركزوا فيه على إلزامية المتعلمين بقراءة كتاب التوحيد للإمام المهدي بن تومرت واهتموا

[1]- فيلالي، المرجع السابق، ص 330.

[2]- دبوب محمد، المرجع السابق، ص 63.

بعناية خاصة لتدريس الحديث و تقريب طلبته إلى جهاز الدولة، و راقبوا التعليم العام خوفا من اختراقات الصوفية لمذهب الموحدين،[1] إلى جانب هذا فقد مارسوا ثلاثة أنواع من التعليم هي تعليم الأطفال و تعليم العوام أو ما يعرف بالتعليم الشعبي،

- تعليم الأطفال: عمل متصوفة الغرب الإسلامي خلال الفترتين المرابطية و الموحدية حيثلا أنشأت مؤسسات تعليمية ابتدائية لتعليم الأطفال مبادئ القران، و كان ينحصر في مرحلته الأولى على تعلم الكتابة و القراءة، و حفظ القران و ذلك في المساجد و الربط و الكتاتيب و يحتمل أنهم بلغوا سن السابعة[2] في الكتاتيب دون المساجد التي كان يخشى فيها نجاسة الأطفال[3] ، و تركز التعليم في منطقة المغرب الإسلامي في كل من تلمسان و بجاية و كذا القيروان و القرويين بالمغرب الأقصى و امتد إلى كل من صقلية و الأندلس. و قد اعتمد هؤلاء الصوفية طريقة التعليم والتربية المتفق عليها عند سكان المغرب، وقد ورد عن ابن خلدون :"فأما أهل المغرب مذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ،وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذف

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ج1، ص31.

[2]- يرى احمد بن أبي جمعة المغراوي إن سن السابعة هو السن المفضل لارتياء الأطفال للكتاب، انظر: جوامع الاختصار و التبيان فيما يُعرض للمعلمين و إباء الصبيان، تحقيق احمد جلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ص 47.

[3]- احمد الشنوي، مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة و الأندلسيين، ج1، مطبعة الرسالة، الرباط، 1970م، ص 96،

وينقع دونه"[1]، وقد تفانى المتصوفة في عملهم بتعليم الصبية، إذ لم يدخروا جهدا في إفادتهم ونفعهم وتأدية واجبهم اتجاههم على أكمل وجه[2] وفيما يخص الأجرة فقد اختلف المتصوفة القائمون على تعليم الصبيان في أمرها إذ أباح بعضهم أخذها على أن تكون نيتهم من تعليمهم التقرب من الله لا لأجل المال واكتفى بعضهم بمزاولة تعليم الصبيان دون أجرة لوجه الله [3]،وقد تعامل المتصوفة مع الصبية الذين يعلمونهم بالمكاتب بالرفق والإحسان[4].

تعليم الشباب: بالإضافة إلى تعليم الأطفال لقنّ الصوفية الشباب فنونا عديدة في المساجد و الرباطات في حلقات تعرف بحلقات الدرس[5]، وكان الطلبة يقبلون على النحو في اللغة العربية والفقه في الأدب فينالون بضاعة وافرة تمكنهم من بلوغ مستوى لائق ومعرفة دينهم وقد ذكر الدكتور عبد الحميد حاجيات في كتابه "أبو حمو موسى الزياني" بعد الإلمام بالعلوم الفقهية لدى الطلبة ينتقلون بعدها إلى المرحلة الأخيرة، فيطرقون العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه. والعلوم العقلية والأدب وغيرها بمزيد من التعمق والتفصيل، وذلك في مساجد مشهورة ،"جامع تلمسان والقيروان والقرويين "، إضافة إلى كل هذا فإن الشباب المتعلم كان يجوب الأقطار وكان الكثير منهم يرتحل إلى أقطار المغرب الإسلامي، والأندلس والشرق مما أثر على الحياة الفكرية إلى مدى بعيد أما منهج التعليم الذي كان سائدا

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص 334.

[2]- السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 160،

[3]- ابن عباد الرندي، الرسائل الصغرى، نشرها بولس، نويا السيوسي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1957، ص 84.

[4]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص 227.

[5]- الحلقة أو ما يحرف بالميعاد هو توقيت الدرس المنفق عليه بين الشيخ و تلامذته، و قد استعمل الغبريني هذا المصطلح في أكثر من موضع في سياق ترجمة للصوفية.- للمزيد انظر: الغبريني، المصدر السابق، ج1، ص 137.

في ذلك الوقت فكان يعتمد على الطريقة إلقائية والشرح حيث كان المتصوف يتولى الشرح حسبما يتيسر له من غزارة حفظه وسعة إطلاعه وسداد رأيه[1].

تعليم عامة الناس: بالإضافة إلى جهود الصوفية في تعليم الأطفال والشباب قاموا أيضا بتوسيع دائرة التعليم ليشمل العامة لرفع مستواهم في المعرفة الدينية ،فقد كانت العامة تزدحم في المغرب الأوسط على الدروس وفي الجامع الأعظم وكذا بالقيروان والزيتونة وخاصة في دروس الحديث والفقه وعلم التذكير[2]، وقد عكفت الصوفية على التعليم الشعبي بشكل أوسع حيث أشار الغبريني إلى كثافة الدروس التي كان يلقيها الصوفية على العوام في المساجد حيث كانوا يدرسونهم جملة من العلوم والمعارف الدينية والخلقية، إذا كان التعليم الشعبي قد اقتصر فيه الصوفية على تدريس الحديث والفقه فإنهم أضافوا فيما بعد تدريس القراءات واللغة وأصول الدين وأصول الفقه والتصوف وعلم التذكير والوعظ[3]، ولا غرابة أن الصوفية رفضوا لواء محاربة الجهل والأمية إنما حلوا وحتى داخل السجون التي كانوا يدخلونها قهرا، غير أن الصوفية وتعليمهم ونظامهم التربوي في جميع الأطوار كان لا يخلوا من النقائص التي جعلت بعض الصوفية أنفسهم يطالبون بإصلاحه[4].

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص 37.

[2]- الغبريني، المصدر السابق، ص 137.

[3]- نفسه، ص 311- 312.

[4]- محمد دبوب، المرجع السابق، 66.

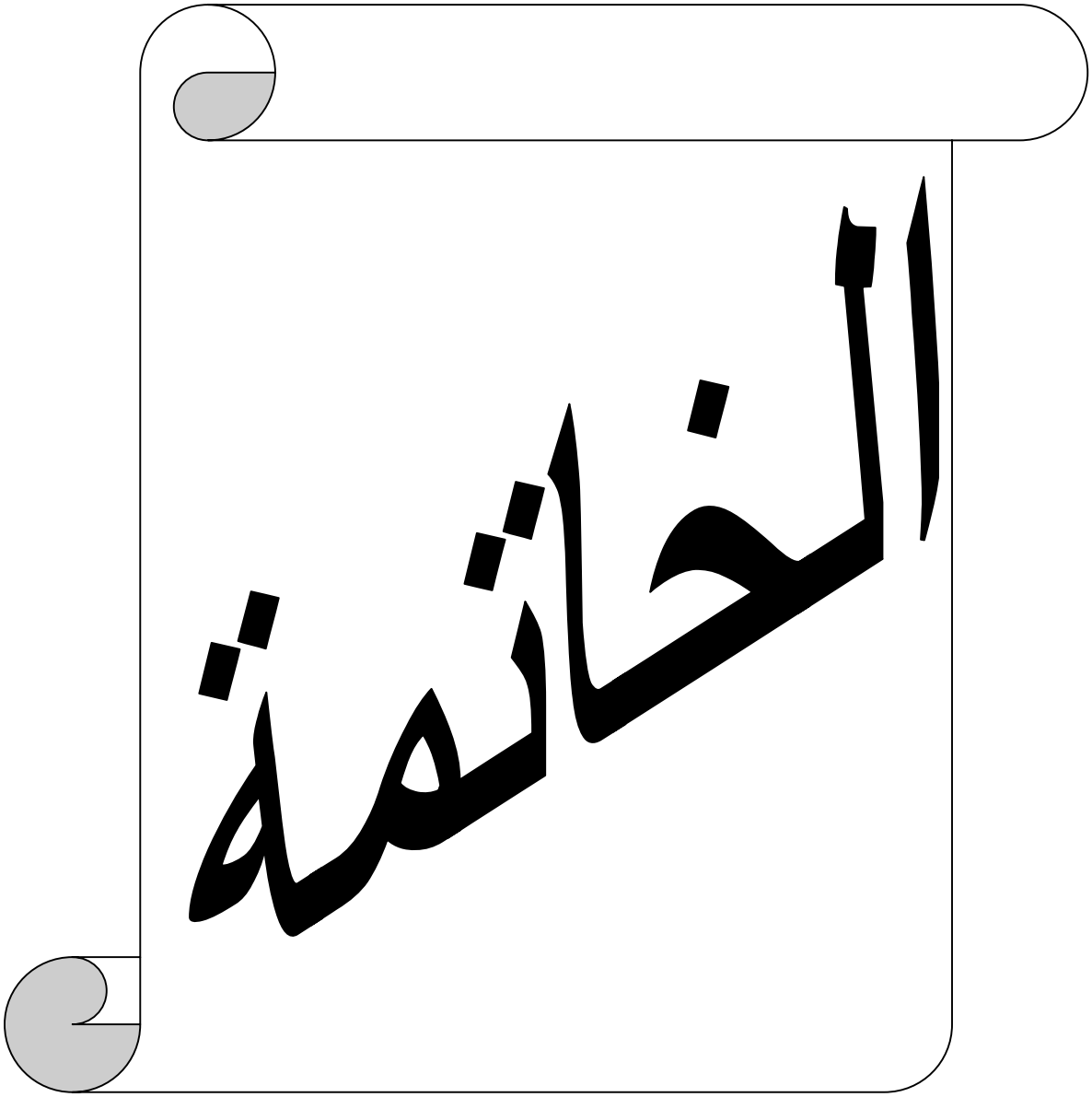
الخاتمة

في نهاية هذا العمل الذي حاولنا من خلاله تشكيل صورة مقربة عن التصوف في الغرب الإسلامي وتحديدا في عصري المرابطين والموحدين، وهذا باستعراض الطرق والتيارات والمظاهر، ورصد وتتبع مواقف السلطة والفقهاء من التصوف، وخلصنا من خلاله إلى جملة من النتائج ذكرت في متن العمل ونوجزها فيما يلي:

_ عرف التصوف خلال الفترة موضوع دراستنا تطورا كبيرا، فبعدما كان مجرد تصوف ساذجا اعتمد على الزهد والتقشف أصبح يقترن بالنظريات الفلسفية،التي اعتمدها العديد من المتصوفة وجعلوها أساسا في بناء اتجاهاتهم الصوفية، مما يؤكد أن متصوفة الغرب الإسلامي عملوا على بناء اتجاهات خاصة بهم ولم يكتفوا بما أخذوه عن إخوانهم بالمشرق، وهذا ما عزّزه تعدد الاتجاهات الصوفية التي عرفها الغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين،والتي تمثلت في الاتجاهات الصوفية السنية والاتجاهات السنية الفلسفية والاتجاهات الفلسفية ،وما لاحظناه مما سبق ذكره عن تلك الاتجاهات أن التصوف الغزالي عرف رواجا كبيرا بين متصوفة الغرب الإسلامي خاصة مع العصر الموحدي،وقد أدى هذا إلى ظهور اتجاهات صوفية جديدة عمل أصحابها بأفكار الغزالي الصوفية وأضافوا لها أفكارهم مما ساهم في إثراء الاتجاهات الصوفية وتعددها.

- ظهور الاتجاهات الصوفية الفلسفية في التصوف كان مع العصر الموحدي،وذلك يرجع للدور الفعّال الذي لعبته السياسة الموحدية،خاصة وأنها فسحت المجال للفلسفة الأمر الذي ساعد على بناء اتجاهات صوفية جديدة ،وما يجب الإشارة إليه هو أن هذه الاتجاهات

المقترنة بالفلسفة تزعمها متصوفة أندلسيون، ويمكن إرجاع ذلك إلى الأثر الذي خّلفته حركة ابن مسّرة ،كما يلاحظ أن الاتجاهات الصوفية عرفت حركة نشيطة جدا ساهمت فيها تنقلات أصحابها من المتصوفة وتلامذتهم ما بين مدن الغرب الإسلامي،مما أسهم في ظهور مدن كبار المتصوفة التي مثلت مراكز إشعاع صوفي أّثرت في باقي المناطق عن طريق الطلبة الذين كانوا يشدون الرحال للقاء كبار المتصوفة والنهل عنهم.

الملاحق

الملحق (1):

رسالة المهدي إلى جماعة الموحدين ينهاهم فيها عن الخمر:

" واجتنبوا الخمر فإنها أم الفواحش ولا تشربوها ولا تسقوها ولا تعصروها ولا تبيعوها ولا تبتاعوها فإنها رجس من عمل الشيطان وشاربها ملعون...".

البيذق : أخبار المهدي، ص 5.

الملحق: (2)

رسالة عبد المؤمن بن علي إلى جماعة الموحدين بإشبيلية ينهاهم فيها عن الخمر:

" لأن الناس تجوّزوا في أمر الرب تجوّزا أغفلوا فيه الاجتهاد ...فاقطعوه جملة وتفصيلا،ولا توجدوا أحدا على بيعه سبيلا، واشتدّوا في ذلك اشتدادا لا يوسع مستسمحا فيه صدوقا عن هذا القصد الحميد ولا عدولا، واخلوا الحواني التي كان يباع فيها منه وافقروها واصرفوها ... والديار المعروفة ببيعه أيضا لا تتركوها على ذلك ولا تقرّروها، وأريقوا ما تلقون من مشتبه وملتبسة وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة على دلسه، وتتبعوا في ذلك أبلغ تتبع وأشده، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائنا من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشرع في ذلك حدّه"...

ليفي بروفنسال:مجموع رسائل موحدية ،مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1941 م، ص164 .

الفهارس

1- فَهْرسُ الآيات القرآنية:

الآية القرآنية الكريمة	اسم السورة و رقمها	الصفحة
"يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون..."	سورة آل عمران الآية 200	50
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل	سورة الأنفال، الآية 60	75
إن الله يأمر بالعدل والإحسان	سورة النحل، الآية 90	85

2- فهرس الأعلام:

الاعـــــلام	الصفحـــــــــة
أبا عبد الله محمد بن أحمد الخياط	44
أبا عبد الله محمد بن الحسن	44
أبا عمران الفارسي	21
أبا محمد بن أخي معروف الكرخي	39
ابن خلدون	38، 42
ابن صمادح	27
ابن مسرة	84
أبو الحسن الشاذلي	48
أبو العباس أحمد بن العريف الصنهاجي	54
أبو العباس إدريس الواثق بالله المعتمد	34
أبو العباس السبتيي	78، 100
أبو العباس بن أحمد بن الأغلب	45
أبو القاسم القشيري	38، 60
أبو القاسم بن حمدين	32
أبو بكر بن عمر	24
ابو جعفر أحمد بن محمد القرطبي	65

أبو سليمان بن عبد الله القيروان	45
أبو عبد الله محمد بن تيفاوت	21
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن تجيبي	60
أبو علي الصدفي	68
أبو مدين	48، 59
أبو يعزى بلفور	47،48،47، 88، 96، 103.
أبو يعقوب يوسف	33
أبي الحسن بن بشار	39
أبي بكر الطرطوشي	29
أبي حامد الغزالي	29، 70، 73، 74، 76، 77، 79، 89
أبي ذر المعافري	37
أبي عمرو عثمان بن علي التلمساني	64
أبي مدين شعيب	65، 67، 69، 71
أبي مريرة	37
أحمد بن الحي الصوفي الكوفي	45
أحمد بن تيمية	37
أحمد بن عبد القادر الهمذاي الغرناطي	69
أحمد بن عبد الله اللخمي	45
أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي ألفونسو السادس	26، 27
بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الزناتي	50
بلال الحبشي	37
بن قسي	32
التاهرتي	54
جبلة بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي	44
الجوهر بن سكن	22، 23

الحارث ابن الأسد	44
الحسن البصري	44
ذي النون المصري	43
زكرياء بن بوغان الصنهاجي	64
زينب النفزاوية	24
سعيد بن إسحاق	44
سلمان الفارسي	37
عبد الحق بن ابراهيم ابن سبعين	45
عبد الرحمن البدوي	40
عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله	52
عبد الرحمن الداخل	20
عبد الرحمن بن صقر الأنصاري	65
عبد الرحمن عياض	32
عبد الله الأنصاري	59
عبد الله الرحمن التجيبي	28 ،68
عبد الله بن همشك	32
عبد الله بن ياسين الجزولي	22، 23
عبد المؤمن بن علي	30، 31، 33
ليولوثان بن بن تيكلان	20
محمد بن عبد الله تومرت	28، 30، 31
مسلمة بن محمد بن محمد مسلمة:	54
المصري الصقلي	60
المنصور بالله يعقوب	33، 34
موسي بن النصير	19
وجاج بن زلول المطي	21،65، 22

يحي بن إبراهيم الجدالي	21
يحي بن عمر	23
يوسف بن تاشفين	23، 24، 25، 27، 88
يوسف بن عبد المؤمن	88

3- فهرس الأماكن والقبائل

الأماكن والقبائل	الصفحة
الأرك	33
الإسكندرية	29
إشبيلية	26
أغمات	24، 31
إفريقيا	19
مارة بني حماد	31
الأندلس	20، 25، 26، 32،27،45، 51، 52، 89، 92، 104، 108.
برغواطة	20، 23
بلنسية	32.
بنو غانية	32
تارودانت	24
تلمسان	25، 30، 34، 49، 68، 65.
جبال الريف	25
جبال الونشريس	25
جبل درن	19.24
جزولة	24
الجزيرة الخضراء	26
جيان	32
الحجاز	29
الخرسان	44
الزلاقة	27، 33.
السبتة	26، 28، 48

سحنون	.44
سراقسة	32
السودان	19
السوس	23
سيدي هيدور	49
الصحراء	19، 21، 27
صنهاجة	21، 23
صهيب الرومي	37
طليطلة	26، 27.
طنجة	19، 31.
غدامس	19
غرناطة	33، 34.
غمارة	25
فاس	25، 30، 31، 47، 48
قرطبة	32، 33، 45، 52
قرمونة	32، 33
قشتالة	26
قلعة فزار	25
القيروان	21، 50، 51، 55، 59، 98
لمتونة	19، 20، 23، 24
ماسة	.24
محمد بن سعد بن مردينش	32
المحيط الأطلسي	19
المدينة المنورة	59
مراكش	28، 31
مرسية	32
المرية	33
مسوفة	23، 24.
المشرق الإسلامي	28، 29، 43، 45، 48، 49، 58، 78.
مصر	19، 29، 43.
المغرب الأقصى	25، 34، 55.
المغرب الأوسط	25، 55.
المغرب	19، 25، 31، 32، 43، 44، 46،47، 48، 76،4،89

مكة	59
ملالة	30
مليلة	25
نفيس	21
نهر السنيغال	22، 55.
ورغة	25
وهران	25، 31، 49
اليمن	19

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1- المصادر المخطوطة:

1- **أبو راس المعسكري محمد بن احمد بن ناصر الراشدي(ت1238هـ/1822م)**: عجائب الاسفار و لطائف الاخبار، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم1632.

2- المصادر المطبوعة:

القران الكريم: برواية حفص.

1- **ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (630 هـ/ 1232 م)**: الكامل في التاريخ، الطبعة الثالثة، مراجعة محمد يوسف الدقاق، ، دار الكتب العلمية، المجلد الثامن، بيروت، لبنان، 1418 هـ/ 1998 م.

ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت 808 هـ/ 1405م):

- كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس، الجزء السابع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1391 هـ/ 1971 م.
- شفاء السائل وتهذيب المسائل، الطبعة الأولى، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر.
- المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ الطبع.
- البيان الموحدي، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنبير، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة.

2- **ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرغيني(حي سنة 1092 هـ/ 1981 م)**: المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، الطبعة الثالثة، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، شعبان،1387هـ.

3- **ابن أبي زرع أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم(توفي بين 710 و 720 هـ/ 1310 و 1320م)**: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دون طبع، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الناشر.

4- **ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن(ت 597 هـ/ 1200 م)**: تلبيس إبليس، الطبعة الأولى، تحقيق محمد بن الحسن بن إسماعيل ،مسعد عبد الحميد السّعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418 هـ/1998 م.

5- **ابن الخطيب لسان الدين (ت 776 هـ/ 1374 م)**: الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعة الاولى، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397 هـ/ 1977م.

- تاريخ المغرب الوسيط، القسم الثالث عن كتاب أعمال الأعمال، تحقيق أحمد المختار العبادي و محمد الكتاني، دار الكتاب اللبناني، 1964.

6- **ابن العريف أبو العباس**: مفتاح السعادة و تحقيق طريق السعادة، الطبعة الأولى، دراسة و تحقيق عصمت عبد اللطيف دندش جمعة أبو بكر عتيق بن مؤمن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م.

7- **ابن الفرضي**: تاريخ علماء الأندلس، الجزء الأول، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، بيروت، 1983

8- **ابن القطان أبو الحسن على بن محمد(ت 628 هـ/ 1230 م)**: نظم الجمان، بدون طبعة، تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب.

9- **ابن بشكوال أبو القاسم خلف القرطب**: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، الطبعة الأولى، ثلاثة أجزاء، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت1410هـ/ 1989 م.

10- **ابن تومرت أبو عبد الله المهدي (ت 524 هـ/ 1129 م)**: أعز ما يطلب، مطبعة بير بونطانا ،الجزائر ، 1321 هـ/ 1951 م.

11- **ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد (ت 780هـ/1378)**: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

12- **ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد (681 هـ/ 1282 م)**: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، بدون طبعة، تحقيق إحسان عباس، مجلدان ، دار صادر بيروت، لبنان، الطبع.

13- **ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيا سنة 712 هـ/ 1312 م)**: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، الجزء الرابع، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983 م.

14- **ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين (ت 799 هـ/ 1396 م)**: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة الأولى، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417 هـ/ 1996 م.

15- **ابن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب (ت 781 هـ/1379)**: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيفيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1401 هـ/ 1981 م .

16- **ابن مريم محمد بن محمد المديوني (ت 1014 هـ 1605 م)**: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، بدون طبعة، مراجعة محمد ابن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

17- **أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم(ت 333 هـ/ 944 م)**: طبقات علماء افريقية و تونس، الطبعة الثانية، تقديم وتحقيق علي الشابي، نعيم حسن الباقي، ،الدار التونسية للنشر، تونس، 1985 م.

18- **الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف(ت 548 هـ/ 1154 م):** القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1983 م.

19- **البكري أبو عبيد الله (ت 487 هـ/ 1094 م):** المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى بغداد، دون تاريخ طبع.

20- **بن تيمية أحمد:**

- الصُّوفية والفقراء، تقديم محمد جميل غازي، دار المدني، مصر، القاهرة
- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القسم، مكتبة المعارف بالتصرف، الجزء العاشر.

21- **البيذق أبو بكر الصنهاجي (ت أواخر القرن 6 هـ/ 12 م):** أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تصحيح وترجمة ليفي بروفنسال بولسكتتر الكتبي، باريس ، 1928 م.

22- **التادلي أبو يعقوب يوسف التادلي(ت 628 هـ/ 1230 م):** التشوف إلى رجال التصوف، نشر وتصحيح أدولف فور، مطبوعات افريقية الشمالية الفنية، الرباط، 1958 م.

23- **التنبكتي أحمد بابا (963- 1036هـ):** كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية، الطبعة الأولى، تعليق أبو يحي عبد الله الكندري، دار بن حزم، بيروت، لبنان ، 1422 هـ/2002 م.

24- **الحميري محمد بن عبد المنعم(حي سنة 866 هـ):** الروض المعطار في خبر الأقطار، الطبعة الثانية، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان، 1984 م.

25- **الدّباغ أبو زيد عبد الرحمن (ت 696 هـ/ 1296 م):** معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور تعليق أبو الفضل أبو القاسم

بن عيسى بن ناجي التنوخي، الجزء الثاني، مكتبة الخانجي القاهرة،المكتبة العتيقة، تونس،1972 م.

26- **السلاوي أحمد بن خالد الناصري:** الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي، إبراهيم بوطالب، أحمد توفيق، جزآن، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، دار البيضاء2001م.

27- **السهروردي عبد القادر بن عبد الله:** عوارف المعارف، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1966 م.

28- **الصدفي:** السر المصون فيما أكرم به المخلصون، الطبعة الأولى، تحقيق حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، 1409هـ/1989م.

29- **الطعمي محي الدين:** طبقات الشاذلية الكبرى، الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت (1416هـ/ 1996م).

30- **الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (704 هـ/ 1304 م):** عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،18 جانفي 1970 م/ 11 ذي القعدة 1389 م.

31- **القشقشندي ابي العباس بن علي:** صبح الأعشى، بدون طبعة، الجزء الأول، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، المؤسسة المصرية، مصر.

32- **القشيري عبد الكريم بن هوزان(ت 465 هـ/ 1072م):** الرسالة القشيرية في علم التصوف، الطبعة الأولى، إعداد وتقديم محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1419 هـ/ 1998 م.

33- **الكلاباذي أبو بكر محمد (ت 380 هـ/ 990 م):** التعرف لمذهب أهل التصوف لولا التعرف لما عرف التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1380 هـ/ 1960 م.

34- **المالكي:** رياض النفوس، تحقيق دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

35- **مجهول**: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الطبعة الأولى، تحقيق سهيل زكّار،عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، 1399 هـ/1989م.

36- **مخلوف محمد بن محمد (1360 هـ/ 1940م)**: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، الطبعة الأولى، تعليق وتخريج عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ/ 2003 م.

37- **المراكشي العباس بن إبراهيم (ت 1378 هـ/ 1958 م)** : الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، أربعة أجزاء، مراجعه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، صدرت ما بين سنتي 1993 و 1998 م.

38- **المراكشي عبد الواحد بن علي (حي سنة 613 هـ/ 1216 م)**: - المعجب في ذكر اخبار افريقية والمغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ذوالحجة 1369 هـ/أكتوبر 1950 م.

39- **المراكشي محمد بن محمد بن عبد الملك** :الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، بدون طبعة، تحقيق محمد بن شريفة، السفر الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

40- **المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت 1041 هـ/ 1631 م)**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الطبعة الثانية، جزء الثاني والثالث، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997 م.

2- المراجع العربية

41- **أبو الفضل محمد احمد**: فرق الأندلس في العصر الإسلامي(515هـ، 686هـ) دراسة في التاريخ السياسي و الحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.

42- **احمد الشنوي**: مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة و الأندلسيين، الجزء الأول، مطبعة الرسالة، الرباط، 1970م.

43- **بلغيث محمد أمين**:

- الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين 479- 539هـ/1089-1144م، القافلة لنشر والتوزيع، القسم الثاني، 2013.

- الرُّبُاطُ بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، القافلة للتوزيع و النشر، الجزائر،2013.

44- **بن سباغ مصطفى** : السلطة بين التسنن و التشيع و التصوف ما بين عصري المرابطين و الموحدين، تقديم محمد بن عبود، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م.

45- **بن قربة صالح**: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.

46- **الجزائري عبد الكريم**: التصوف في ميزان الإسلام، دار هومة للطباعة و النشر، بوزريعة، الجزائر،1997.

47- **الجيلالي عبد الرحمان**: تاريخ الجزائر العام، الطبعة السابعة، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1415هـ/1994م.

48- **حاجيات عبد الحميد**: أبو حمو موسى الزياني، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

49- **حركات إبراهيم**: المغرب عبر التاريخ، الطبعة الثانية، الجزء الاول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1405هـ/1984م.

50- **حسن علي حسن**: الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس (عصر المرابطين و الموحدين)، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ،1980م.

51- **الدغلي محمد سعيد**: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، الطبعة الأولى، نشر دار السلامة، 1983م، 1404.

52- **دندش عصمت عبد اللطيف**: أضواء جديدة على المرابطين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991.

- الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين "عصر الطوائف الثاني"، الطبعة الاولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.

53- **رابح بونار**: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

54- **سالم السيد عبد العزيز**: المغرب الكبير(العصر الإسلامي دراسة تاريخية و عمرانية أثرية)، الجزء الاول، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

55- **السيد عبد العزيز السالم سحر**: تاريخ بطليوس الإسلامية او غرب الاندلس في العصر الإسلامي،الجزء الثاني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 6 مايو 1991م.

56- **سيسالم عصام سالم**: جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) (89-685هـ/708-1287م)، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، كانون الثاني1984م.

57- **شرف محمد جلال**: التصوف الإسلامي ومدارسه ونظرياته، الطبعة الأولى، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م.

58- **الشنوي احمد**: مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة و الأندلسيين، الجزء الأول، مطبعة الرسالة، الرباط، 1970م.

59- صفية ديب: التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين (بين القرنين 6و7هـ/ 12و13م)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011.

60- **الصلابي محمد**: صفحات من التاريخ الإسلامي(الدولة الموحدية)، دار البيارق للنشر، عمان.

61- **طاهر بونابي**: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/ 12و13 الميلاديين، بدون طبعة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة.

62- **طه جمال أحمد**: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين دراسة سياسية (448هـ-668هـ/1056م-1269م)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

63- **الطيبي أمين توفيق**: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1984.

64- **العبادي احمد مختار**: في تاريخ المغرب و الأندلس، بدون طبعة ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان.

65- **عباس نصر الله سعدون**: دولة المرابطين في المغرب و الأندلس"عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين"، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1405هـ/ 1985م.

66- **عبد الله بن بيه محمود**: الأثر السياسي لعلماء في عصر المرابطين، الطبعة الأولى، دار ابن حزم لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م.

67- **عبد الله بن عبد العزيز**: تاريخ المغرب(العصر القديم و العصر الوسيط)، مكتبة السلام، الدار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط.

68- **عز الدين عمر موسى**: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1411هـ/1991م.

69- **علام علي عبد الله**: دعوة الموحدين بالمغرب، الطبعة الأولى، دار المعرفة، الرباط، المغرب.

70- **غافة إبراهيم**: الشيخ محي الدين بن عربي و تأثيره في العالم الإسلامي و العالم المسيحي، دار هومة للطباعة و النشر، بوزريعة، الجزائر.

71- **فتاح عرفان عبد الحميد**: نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1413هـ /1993م.

72- **فروخ عمر**: تاريخ الأدب الغربي(الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة)، الطبعة الاولى، الجزء السادس ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، حزيران (يونيو)، 1983م.

73- **الفقي عصام الدين عبد الرؤوف**: تاريخ المغرب و الأندلس، نشر مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

74- **القادري إبراهيم**: الإسلام السري في المغرب العربي،الطبعة الثانية، دار سينا للنشر، القاهرة، 1995م.

75- **قاسم غني**: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق، مرتجعة أحمد ناجي القيسي، محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

76- **قمر الكيلاني**: في التصوف الإسلامي، الطبعة الأولى، دار مجلة شعر المكتبة العصرية، بيروت.

77- **المتوني محمد**: إحياء علوم الدين في منظور الغرب الإسلامي أيام المرابطين والموحدين (أبو حامد الغزالي، دراسة في فكره وعصره وتأثيره)، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 09، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988م.

78- **محمد قريبز**: تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي (النشأة والتطور)، محاضرات الموسم الثقافي 98-99م، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1420هـ/1999م.

79- **محمود حسن احمد**: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، دار الكتاب الحديث، جامعة القاهرة، 1416هـ/1996م.

80- **معروف الكرخي**: الطبقات الصوفية، تحقيق ونشر جوسن بدرسن، مطبعة ليون، 1960.

81- **منصور عبد الوهاب**: أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية الرباط، 1399هـ /1979م.

82- **المنوني**: ورقات الآداب عن حضارة المرينيين ، الطبعة الثانية، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1416هـ/1996م.

83- **مؤنس حسين**:

- تاريخ المغرب و الاندلس، الطبعة الأولى، دار و مطابع المستقبل، القاهرة، 1980.

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار ومطابع المستقبل بالفجالة، القاهرة، 1980.

84- **النفتازاني أبو الوفاء الغنيمي**: مدخل إلى التصوف الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1399هـ/1979م.

85- **الولي طه**: المساجد في الإسلام ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، محرم1409هـ - 1988م.

3- المراجع المترجمة

86- **أوليري دي لاسي**: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دون تاريخ طبع.

87- **بالنثيا أنخل حنبثالث**: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، 1945 م.

بروفنسال ليفي:

- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع ، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ، 1990 م.
- مجموع رسائل موحدية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1941 م.

88- **بل ألفرد:** الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1987 م.

89- **بلاثيوس أسين:** ابن عربي حياته ومذهبه،ترجمة عبد الرحمن بدوي،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة، 1965 م

90- **شويقلي جان:** التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق المغرب، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، بيروت ،لبنان، 1999 م.

91- لي تورنو روجي: حركة الموحدين في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر، ترجمة امين الطيب، الدار البيضاء للكتاب، ليبيا، تونس، 1982م.

4- الرسائل الجامعية

92- **حسبلاوي نسيم:** الحياة الفكرية في الاندلس في عهد الدولة الاموية (138-422هـ/756-1031م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الجزائر

93- **محمد دبوب:** مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ببلاد المغرب الإسلامي وتفاعلاتها خلال القرنين (3هـ-5هـ/9م-11م)، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2000م-2001م.

94- **ملياني زينب:** التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر، 2006-2007م/1427هـ-1428هـ.

95- **قربيز محمد**: الشعر الصوفي في الأندلس في المرابطين و الموحدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية1406هـ/1986م.

5- **الدوريـــــات**

96- **بن قربة صالح**: دور تيار التصوف و أثره في الحياة السياسية خلال القرن السادس في العهد العثماني، مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري ، قسنطينة، 28 آيار(ماي) 2002م.

97- **بوتشيش ابراهيم القادري**: ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري،مجلة التغيرات الاجتماعية 24نيسان، أفريل 2001 م.

98- **البوعبدلي المهدي**: الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى ،مجلة الأصالة ،العدد 13،السنة الثالثة، مارس أفريل 1973 .

99- **دبوب محمد**: دور حركة صوفي7

100- ة المغرب الإسلامي في الحياة الثقافية والفكرية وتفاعلاتها بالمشرق الإسلامي، حولية المؤرخ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،الأبيار العدد الثاني ، 2002 م.

101- **قربيز محمد**: تاريخ دخول التصوف إلى الغرب الإسلامي (النشأة والتطور)، مجلة الأصيل منشورات المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر 1420هـ/1999م.

102- **مجاني بوبة** :عبد المؤمن بن علي والحركة الصوفية، الملتقى الوطني الثاني حول عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري والدولة الموحدية، الطبعة الأولى، ندرومة 03 إلى 06 نوفمبر 1998 م / 13إلى 16 رجب 1419 هـ.

6- **المعاجـــم**

103- الإفريقي ابن منظور: لسان العرب، ، دار صادر، المجلد السابع، بيروت، لبنان.

104- الباشا محمد: الكافي معجم عربي حديث، الطبعة الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1992.

105- العجم رفيق ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1999.

المراجع الأجنبية:

106- Charele Andrée julien, Histoire de L'Afrique du Nord des Origines a 1830, édition Spaynot a rivages , Paris 1994

107- Louis Rim , Marabouts et Khauan (étude l'islam en Algérie), libraire de l'académie, 1884.

108- Bel (A) , L'islam mystique, typoligraphie jules, carbonel, alger

109- BOZY,(R) ,suplémentaux dictionnaires arabes , librairie du liban,beyrouth,1991,.

الفهرس العام

الفهرس العام

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....أ-ح

الفصل التمهيدي: نبذة تاريخية عن دولتي المرابطين والموحدين.

المبحث الأول: دولة المرابطين

- بداية الدعوة المرابطية وقيام الدولة.....15
- مرحلة التوسع وضم بلاد الأندلس.....19
- مرحلة التراجع والانهيار.....23

المبحث الثاني: دولة الموحدين

- بداية الدعوة الموحدية وقيام الدولة.....24
- مرحلة التوسع وضم بلاد الأندلس.....27
- مرحلة التراجع والانهيار.....29

الفصل الأول: التصوف وطرق انتشاره.

المبحث الأول: التصوف الإسلامي

- تعريف التصوف.....32
- التصوف وحركة الزهد في بلاد المغرب.....39

المبحث الثاني: طرق انتشار التصوف

- نزعة الزهد.....45
- انتشار الربط.....50
- دور الرحلة في طلب العلم.....54

الفصل الثاني: التيارات الصوفية وأقطابها.

المبحث الأول: التيار الصوفي السني وأقطابه..... 59

المبحث الثاني: التيار الصوفي السني الفلسفي وأقطابه.....67

- أقطاب التيار الصوفي السني الفلسفي.....68

المبحث الثالث:التيار الصوفي الفلسفي.....80

الفصل الثالث: مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية عند المتصوفة.

المبحث الأول: الصراع المذهبي خلفياته وطبيعته

- المتصوفة والحكم.....89
- المتصوفة والفقهاء.....96

المبحث الثاني: المتصوفة والمجتمع

- مسلك المتصوفة في الحياة اليومية.....99
- الكرامة ومدلولها الاجتماعي.....104
- المتصوفة والتكافل الاجتماعي.....108

المبحث الثالث:انعكاسات المتصوفة على الحياة الثقافية والفكرية.

- دور المتصوفة في ظهور الزوايا.....111
- دور المتصوفة في التعليم.....114

خاتمة.....119

الملاحق.....122

فهرس الأعلام و الأماكن.....128

قائمة المصادر و المراجع.....134